

قسم اللغة والأدب العربيّ

كلية الآداب واللغات

التّشكيل الخطابيّ للحجاج في خطابات أهل الكتاب من القرآن الكريم

مذكرة تخرّج مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة الماسّتر في اللغة العربيّة

تخصّص: لسانيات عامّة

إشراف الدّكتور:

فريد خلفاوي

أعداد الطّالّين :

عثمان هنده

إسماعيل حبشي

الصفة	الجامعة	اسم الاستاذ
رئيسا	جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي	د. لزهر كرشو
مشرفا	جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي	د. فريد خلفاوي
مناقشا	جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي	د. محمد الصالح زغدي

السّنة الجامعيّة: 1440 - 1441 هـ / 2019-2020 م

قسم اللغة والأدب العربيّ

كلية الآداب واللغات

التّشكيل الخطابيّ للحجاج في خطابات أهل الكتاب من القرآن الكريم

مذكرة تخرّج مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة الماسّتر في اللغة العربيّة

تخصّص: لسانيات عامّة

إشراف الدّكتور:

فريد خلفاوي

أعداد الطّالين :

عثمان هنده

إسماعيل حبشي

الصفة	الجامعة	اسم الاستاذ
رئيسا	جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي	د. لزهر كرشو
مشرفا	جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي	د. فريد خلفاوي
مناقشا	جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي	د. محمد الصالح زغدي

السّنة الجامعيّة: 1440 - 1441 هـ / 2019-2020 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ)

(النحل: 125)

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا
آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)

(العنكبوت: 46)

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا

مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ

تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾)

(آل عمران: 65، 66)

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى الذي كل صعب بمعونته هين، وكل ضائع بتوفيقه
وهدايته متحقق

نحمد الله سبحانه على النعمة الغراء فهو للحمد أهل

نشكر الله جل وعلا على ما يسر في هذا العمل المتواضع

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسدى لنا النصائح القيمة وأعاننا
توجيها، ونخص بالذكر الدكتور "لزهر كرشو" والدكتور "فريد خلفاوي".

كما نتقدم بأسمى معاني الشكر وأنبّل عبارات التقدير إلى من ساهم
في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

وإلى أساتذة جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي على مجهوداتهم ونتمنى

لهم المزيد من الارتقاء والتألق.



إِهْدَاء

إلى كلّ من استسقى العلم من منابعه زلالاً.

فأينع وأزهر وأثمر

وأعطى أكله نفساً زاكية،

تواضعت فتضوّعت مسكاً يُعطّر النفوس،

وينعش العقول، وانبثقت نورا يغشى الظلام ويضيء الأفاق،

يؤسس لبناء مجد الأمة وراحة الإنسانية على قيم الحب والخير

والجمال.





مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي بشكره تتم الصالحات، وتدوم النعم، والصلاة والسلام على المبعوث بالهدى رحمة لكل الشعوب والأمم، سيد الخلق وأشرفها محمد خاتم الأنبياء والرسل، الذي بلغ الأمانة على أكمل وجه كما أرادها رب العالمين قال تعالى:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)

(المائدة: 3).

إن المتأمل في خطابات التواصل اللساني، يقف عند حقيقة لا يخلو منها هذا التواصل وهي التبليغ، ولعل ما يزيد من تحقق الفهم والإفهام بين المتخاطبين أن خطاباتهم لا تخلو من استعمال الحجة وخاصة بعد أن تجلت أهمية حضور الحجاج في جميع حالات التواصل في مختلف مجالات الحياة.

ولما يكتسيه الحجاج من بعد حضاري في الخطاب، إذ هو يراعي بناءه على حجج هادفة إلى الإقناع الذي يأتي في ظل حوار يضمن سلطة الحقيقة على العقول دون أن يشعرها بأي إكراه أو تسلط ومن هنا كان سببا في تقريب المسافات ولحمة الأفراد والمجتمع.

ولا شك أن المعجزة التي دللت على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت ولا زالت وستظل خالدة، تستقطب اهتمامات الدارسين والباحثين على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم ومناهجهم وتحظى بالدراسة لتأكيد كثير من الحقائق والتقرب في آن إلى نيل رضوان الله والمؤكد أن هذه الدراسات تمدنا من حين إلى حين بدلائل إعجازية لا تنضب منها هذه المعجزة.

لا شك أن الغوص في خطابات أهل الكتاب يبين لنا الادعاءات والأباطيل المضللة التي حاججوا بها وكيف تم دحضها والرد عليها بتوجيه رباني محكم نأخذ منه العبرة ونقتدي به في دفع كيد الكائدين المغرضين لهذا الدين.

وللأهمية التي يحظى بها الحجاج ولتجليه في أفضل مدونة على الإطلاق وفي أبهى صورة اخترنا أن يكون بحثنا موسوماً بـ "التشكيل الخطابي للحجاج في خطابات أهل الكتاب من القرآن الكريم" وقد ركزنا على خطابات أهل الكتاب لأنها حجاجية بامتياز. وللخوض في هذا الموضوع انطلقنا من استقصاء إشكالية مفادها: "ما طبيعة التشكيلات الخطابية للحجاج في خطابات أهل الكتاب من القرآن الكريم؟ والتي تحتها تتدرج عدة تساؤلات أهمها: ما يتعلق بتحديد مفاهيم كل من الخطاب والحجاج والعلاقة بينهما ومعرفة الآليات التي اعتمدت في هندسة هذه التشكيلات،

وللإجابة عن هذا الإشكال اتبعنا الخطة التالية:

تقسيم البحث إلى فصلين: واعتمدنا في كل فصل منهما المزاوجة بين الشقين النظري والتطبيقي.

الفصل الأول: التشكيل الخطابي وأشكاله الحجاجية في خطابات أهل الكتاب تضمن جزئين:

أولاً: الخطاب مفاهيم وتشكيل وهو الشق النظري، تم فيه تعريف الخطاب وتتبع دلالاته في القرآن الكريم وأنواعه وقواعده وقوانينه.

لننتهي بتعريف مقتضب بـ "أهل الكتاب" وبيان العلاقة بين الخطاب والحجاج.

ثانياً: الأشكال الحجاجية في خطابات أهل الكتاب وهو الشق التطبيقي لأشكال الحجاج من حوار ومناظرة ومجادلة ومباهلة.

الفصل الثاني: التشكيل الحجاجي وآلياته الأسلوبية في خطابات أهل الكتاب من القرآن الكريم بشقيه:

أولاً: الحجاج مفاهيم وتشكيل: وهو الشق النظري، وفيه تم تعريف الحجاج وتتبع دلالاته في القرآن الكريم وأصنافه ثم أنواعه وتقنياته.

ثانياً: الآليات الأسلوبية في التشكيل الحجاجي في خطابات أهل الكتاب: وتم فيه تناول أمثلة مجملة وأخرى مفصلة لأهم الأساليب التي تمت من خلالها التشكيلات الحجاجية اللغوية والبلاغية وشبه المنطقية.

وختم البحث بخاتمة تضمنت أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع اختيار المنهج الوصفي القائم على التحليل أداة في رصد التشكيل الخطابي للحجاج في خطابات أهل الكتاب وتتبعه مع تحليل نماذج منه، مع الارتفاق بالمنهج التداولي في إثبات تواصلية وقصديته وإقناعيته ورسم ملفوظه.

ولا ندعي فضل السبق في اختيار هذا الموضوع إذ حظي باهتمام الدارسين وتناولوه من زوايا ووجهات نظر متنوعة، نذكر منها: أطروحة دكتوراه لـ "أحمد موهوب" بعنوان "استراتيجيات الخطاب لأهل الكتاب في القرآن الكريم دراسة تداولية" ورسالة ماجستير لـ "إيمان درنوني"، "الحجاج في النص القرآني - سورة الأنبياء أنموذجاً -" ورسالة ماجستير لـ "حياة دحمان" "تجليات الحجاج في القرآن الكريم - سورة يوسف أنموذجاً" -... وهذه الدراسات تختلف مع موضوعنا من حيث منهج المقاربة أو مادة البحث، ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في جمع مادة بحثنا: كتاب "استراتيجيات الخطاب" لـ "عبد الهادي بن ظافر الشهري"، وكتابا "طه عبد الرحمن": "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" و"في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، وكتاب "الحجاج في القرآن الكريم دراسة أسلوبية" لـ "عبد الله صوله" وكتاب "الخطاب والحجاج" لأبي بكر العزاوي ...

ولا شك أن بحثنا كغيره من البحوث لا يخلو من عراقيل، إذ كان قليل الحظ في نصيبه من الفضاءات العلمية في ظل انتشار جائحة "كورونا" التي انعكست بالسلب على فضاءات كثيرة، وقللت من فرصة التنسيق والتواصل المباشر مع الأساتذة وذوي الخبرة والاختصاص في هذا الشأن.

كما أن طبيعة الموضوع تتطلب نفساً طويلاً وفكراً ثاقباً وفهماً متميزاً وتتوعا معرفياً للتمكن من ملاحقة آليات وعناصر التشكيل الحجاجي في خطابات أهل الكتاب إلا أن هذا لم يحل بيننا وبين الخوض في هذا البحث، إذ تخطينا العراقيل متحليين بالصبر، ومتبصرين بتوجيهات أستاذنا المشرف، وآراء كل أستاذ أمدنا بالتوجيهات القيمة... ليتمّ تخريجُه على هذه الصورة التي لا ندعي كمالها وتامها، إذ هي عمل بشري تعثره النقائص والهفوات، ويبقى الطموح إلى الأفضل مرجواً، ولعل أقلام الباحثين ترفع البناء وتسمو به.

وإذ نحمد الله الذي وفقنا إلى إنجازه، فإننا نسأله أن يجعله في موازين حسناتنا وحسنات كل من شارك فيه إشرافاً وتوجيهاً وقراءة... وعلى الله قصد السبيل.

الفصل الأول

التشكيل الخطابي وأشكاله الحجاجية في خطابات أهل الكتاب

أولاً: الخطاب مفاهيم وتشكيل.

ثانياً: الأشكال الحجاجية في خطابات أهل الكتاب.

أولاً: الخطاب مفاهيم وتشكيل

1 - تعريف الخطاب

2 - دلالة الخطاب في القرآن الكريم

3 - قواعد وقوانين الخطاب

4 - أنواع الخطاب

5 - العلاقة بين الخطاب والحجاج

أولاً: الخطاب مفاهيم وتشكيل

1 - تعريف الخطاب:

١ - لغة : قال ابن فارس(ت 395هـ، 1004 م) في مادة (خ ط ب):"الحاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك¹ وقال الزبيدي(ت 1205هـ، 1790م): والخطب: الأمر الذي يقع فيه المُخاطبة"².

وجاء في اللسان "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان³ ، الخطاب "هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"⁴

فتبين من التعريفات اللغوية أن الخطاب يرجع إلى توجيه الكلام للإفهام وأن يكون بين طرفين أحدهما المخاطب - بالكسر- والثاني هو المخاطب - بالفتح - وهو خطاب لأن فيه مراجعة في الكلام. وخطب أيضاً لأنه أمر تقع فيه المخاطبة. والخطاب: مصدر خاطبته مخاطبة وخطاباً⁵.

ب - اصطلاحاً:

ب - 1 - عند الأصوليين:

قال العلامة المناوي (ت 1031هـ، 1622م):"الخطاب هو القول الذي يفهم المخاطب منه شيئاً"⁶ ويقول الأمدي (ت 631هـ، 1312م):" والواجب أن نعرّف معنى الخطاب أولاً ضرورة توقّف معرفة الحكم الشرعي عليه فنقول قد قيل فيه: هو الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئاً. وهو غير مانع، فإنه يدخل فيه الكلام الذي لم يقصد التكلم به إفهام المستمع، فإنه على ما ذكر من الحد وليس خطاباً والحق إنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه فاللفظ احتراز عما وقعت المواضعة عليه من الحركات والإشارات المفهمة والمتواضع عليه احتراز عن الألفاظ المهملة والمقصود بها الإفهام احتراز عما ورد

1- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1989، ج2، ص198.

2- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية ج 2 ص 370.

3- ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار الصادر، بيروت ط1، 1955، ج 1 ص 360.

4- الزبيدي: المرجع السابق، ج 1، ص70.

5 - نفسه، ج1، ص91.

6 - المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، ص 316.

على الحد الأول وقولنا لمن هو متهيء لفهمه احتراز عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم والمغمى عليه ونحوه.

وإذا عرف معنى الخطاب فالأقرب أن يقال في حد الحكم الشرعي: أنه خطاب الشارع المفيد فائدة شرعية. فقولنا خطاب الشارع احتراز عن خطاب غيره، والقيد الثاني احتراز عن خطابه بما لا يفيد فائدة شرعية، كالإخبار عن المعقولات والمحسوسات ونحوها، وهو مطرد منعكس لا غبار عليه¹.

فالخطاب عند أهل الأصول هو الكلام الموجه لمستمع بقصد إفهامه وإقناعه، وهذا المفهوم قريب لمعنى البيان عند الجاحظ. إلا أن الأخير عني بالجانب البلاغي.

ب - 2 - عند اللسانيين

يعد مفهوم الخطاب من القضايا المشككة في الدرس اللساني، ذلك لحدثة المفهوم، وتنوع مرجعياته، إذ يتخذ تسنيته الاصطلاحي تبعاً للحقل الذي ينتمي إليه، فهناك الخطاب الأدبي والاجتماعي والفكري والإعلامي والديني...² إلى جانب هذا هناك التباس بين الخطاب والنص³، غير إن ما يؤسس لمفهوم الخطاب العلوم التي تعمل على إنشائه، ووضع مبادئه وإجراءاته، ولعل أهم الدراسات المشتركة بين العلوم المختلفة المتصلة بالخطاب، هي الدراسات النفسية اللغوية، والاجتماعية اللغوية، وهي تجري لوضع الأسس التجريبية والنظرية لتحليل الخطاب، وتتصل بتحديد طبيعة العمليات المعرفية المستخدمة في إنتاج الخطاب، وفهمه، وتخزينه، وإعادة إنتاجه. بالإضافة إلى القواعد المعرفية العامة، وتستقي كلمة الخطاب موضوعيتها من المادة التي تعالجها، والسياق الاجتماعي الذي ولدت فيه⁴. فالخطاب هو تسلسل وحدات لسانية صرف، انطلاقاً من الفونيم بوصفه أصغر وحدة صوتية مسلوقة المعنى إلى الجملة باعتبارها مقطعاً مكثفاً بذاته مستفيداً بالاستقلالية السانتكسية⁵. ويعرف كل من ليتش (litche) وزميله شورت (short) بأنه تواصل لساني ينظر إليه بوصفه إجراء بين المتكلم والمخاطب أي فعالية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية⁶.

1- الأمدي أبو الحسن سيد الدين بن محمد بن علي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج 1، ص 95.

2- ينظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 7.

3- محمد يونس علي: تحليل الخطاب وتجارز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2016، ص 17.

4 - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 7.

5- عبد الجليل مرتاض: الروافد اللسانية لتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، د ط، 2016، ص 9.

6- نعمان عبد الحميد بوقرة: أضواء على تحليل الخطاب في الفكر اللساني الحديث مجلة العلوم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العدد 29، صيف 2017.

و يعرف "بنفنست (Benveniste)" الخطاب بقوله كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما¹، أما طه عبد الرحمن فيعرف الخطاب بقوله: "حد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا"².

ج - مفهوم الخطاب الحجاجي

هو عبارة عن مجموعة من الجمل والفقرات والمتواليات والمقاطع التي تترابط فيما بينها اتساقا وانسجاما وحوارية، بواسطة مجموعة من الروابط والعمليات والعلاقات المنطقية والبرهانية والاستدلالية و الحجاجية بغية التأثير والإقناع والاقتناع³.

ويقوم الخطاب الحجاجي على ثلاثة مبادئ رئيسية:

* **مبدأ الغيرية:** القائم على وجود المتكلم المتلفظ والمخاطب السامع⁴، وهذا نجده متجليا في خطابات الأنبياء لأهل الكتاب، ومناظرات النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود والنصارى ومنها ما نقلها القرآن الكريم.

* **مبدأ التأثير:** حينما يقترن الملفوظ بوظيفة التأثير في الغير

* **مبدأ السيطرة:** الذي يقوم به المتكلم حينما يمتلك سلطة اللغة والحقيقة لأن اللغة حسب "رولان بارت" سلطة، ومصدرها السلطة فالذي يمتلك زمام اللغة يمتلك السلطة التصرف والأمر والنهي والتوجيه عن طريق التأثير والإقناع⁵.

فإن الخطاب القرآني خطاب حجاجي لأن الخطاب يقتضي الإقناع والتأثير على حد قول بنفنست.

والحجاج الخطابى هو حجاج مؤسس على ظروف معينة وسياقات خاصة قصد إثارة مشاعر وانفعالات جمهور معين بحد ذاته، فالناس يلجؤون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة، وكل إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجة من الحجج أو يدعمها⁶.

2 - دلالة الخطاب في القرآن الكريم:

وردت كلمة الخطاب ثلاث مرات في القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى:

-(رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا) (النبأ: 37)

- 1- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997، ص19.
- 2- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 1998، ص215.
- 3- جميل حمداوي: حجاج الخطاب أو الخطاب الحجاجي، صحيفة المتقف العدد 4955، الاثنين 2020/03/30.
- 4- جميل حمداوي: المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق، (د د ن)، تطوان، المغرب، ط1، 2016، ص 20.
- 5- نفسه، ص 20.
- 6- حمدي منصور جودي: الحجاج في كلية ودمنة لابن مقفع، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2018، ص 88.

- (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) (ص: 20)

- (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) (ص: 23).

يقول مجاهد (ت 104 هـ، 722 م) في تفسير الآية الأولى: يقول تعالى ذكره لا يملكون له كلاماً حتى يأذن لهم¹، فالخطاب بمعنى الكلام، ويفسر الزمخشري (ت 538 هـ، 1143 م) الآية الثالثة يريد جاعني بالحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرد به، وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل ... وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة... إنما يستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال²، فالمعنى هنا هي المغالبة بالحجاج فجاءت لفظة الخطاب بمعنى المحاجة والجدال. أما الآية الثانية ويقول الزمخشري فمعنى فصل الخطاب، البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به، لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ألا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل.. وكذلك مظان العطف وتركه، والإضمار والإظهار والحذف والتكرار³.

وفي هذا المعنى ضبط الخطاب من اللبس مما يخل من جانب إقامه الحجة فيه من خلال ما ذكره الزمخشري من شروط تقي تعدد المعاني التي تؤدي إلى الفساد، فللخطاب دالتان أحدهما عامة وهي الكلام الموجه لمستمع ودلالة خاصة وهي الحجاج والجدال.

3 - قواعد وقوانين الخطاب:

3-1. عند العرب:

حضّ القرآن الكريم على مراعاة بعض القواعد التخاطبية، صراحة في أكثر من موضع، وذلك بالدعوة إلى تهذيب القول، فقد رسم الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بعضاً من الآليات ليتبعها في دعوته⁴ فقال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ

1- أبو الحجاج مجاهد بن جبر: تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الاسلامي الحديث، مصر، ط 1، 1989، ص 696.

2- جار الله أبو القاسم بن عمر الزمخشري، الكشاف عن الحقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، 1407 هـ، ج 4، ص 83

3- نفسه، ج 4 ص 80.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 92

الْحَسَنَةُ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ (النحل: 125)

على هذه الأسس يرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم للدعوة ومن بعده بدينه القويم فلننظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن¹ والدعوة بالحكمة والنظر في احوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي بيّنه

لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها والتنويع في هذا الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة والموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب والتوبيخ في غير موجب، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل

على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه والغلبة والجدل ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية تنزع للرفق وهذا هو منهج الدعوة ودستورها ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة²، ومن أبرز هذه المبادئ

ما يدركه الناس من آداب المناظرة بغض النظر عن أطرافها أو موضوعها الرئيس مما يدل على وجود مبادئ عامة يجب على المتحاورين أو اطراف الخطاب مراعاتها³

يقترح طه عبد الرحمن نموذجاً من التراث الاسلامي ليأخذ بأسباب التبليغ، كما يأخذ بأسباب التهذيب ويسمي نمودجه مبدأ التصديق ويصوغه كما يلي:

- لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه ففعلك.

ينبني هذا المبدأ على عنصرين اثنين أحدهما (نقل القول) الذي يتعلق بالجانب التبليغي من المخاطبة والثاني (تطبيق القول) الذي يتعلق به بالجانب التهذيبي منها⁴.

ويستخرج نوعين من القواعد هما: قواعد التواصل، وقواعد التعامل: فقواعد التواصل هي قواعد مضبوطة أخذها من عند الماوردي (ت 450 هـ، 1058م) في كتابه "أدب الدنيا والدين"، وهي ما يسميها شروط الكلام وهي أربعة :

الشرط الاول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ج 4 ص 2201

2- ينظر: سيد قطب في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ج 4، ص 2202.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري: مرجع سابق، ص 93.

4- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 249

الشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.

الشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

الشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به¹.

أما قواعد التعامل فهي²:

قاعدة القصد: لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير.

قاعدة الصدق: لتكن صادقاً فيما تنقله إلى غيرك.

قاعدة الإخلاص: لتكن في توددك للغير متجرداً عن أغراضك.

إذ يترتب على قاعدة القصد أمران، أحدهما أنها تصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي إذ يتعين في تبين القصد نتيجتان هما: تحديد المسؤولية الأخلاقية، والأخرى إفادة المرسل إليه المعنى المقصود.

والأمر الآخر إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول³ إذ يجوز أن يتفاوت مقصود القول عن مضمونه، مما يلزم عنه دخول المرسل إليه في ممارسة العمل لمعرفة قصد المرسل فهو لا يتبادر إليه مباشرة.

أما قاعدة الصدق فتقتضي ممارسته في مستويات ثلاثة، الصدق في الخبر والصدق في العمل، ومطابقة القول للفعل، فصدق الخبر هو حفظ اللسان عن الإخبار بأشياء على خلاف ما هي عليه أما الصدق في العمل فهو صون السلوك على إشعار المرسل إليه بأوصاف هي على خلاف ما يتصف به.

وأما مطابقة القول للعمل فهو حفظ اللسان عما يشعر المرسل إليه بتفاوت بين اللسان والسلوك وما يدعم ذلك أن الدخول في عملية المخاطبة هو تشغيل لما يسمى بالكفاءة التداولية والمخاطبة نفسها هي جزء من العمل ومن ضمنها تحديد الهدف واختيار المسلك المناسب والصدق في هذه النواحي الثلاث من أسباب التقارب بين طرفي الخطاب فهو يتعلق بالجانب التهذيبي أكثر من تعلقه بالجانب التبليغي⁴، أما قاعدة الإخلاص فتقتضي تقديم حقوق المرسل

1- الماوردي أدب الدين والدنيا تحقيق: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المناهج، بيروت،

ط 1، 2013، ص 43.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 250.

3- نفسه، ص 250.

4- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 251.

إليه على حقوق المرسل وزيادة التأدب من جانب المرسل مدعاة إلى زيادته من جانب المرسل إليه¹.

3 - 2 - عند الغرب:

الكلام نوع من السلوك الذي تحكمه قواعد وقوانين ولأنه سلوك تحكمه قواعد وقوانين فإن له شكلية يمكن دراستها في صورة مستقلة²، فقد تحدث غرايس (Grice) عن المنطق الطبيعي وحاول أن ينشئ منطقاً خاصاً بالخطاب يتم خلاله عدم إهمال الاختلافات التكوينية بين اللغة والمنطق وتقتصر هذه النظرية نمذجة الاستراتيجيات الحجاجية والعمليات الخطابية المنطقية التي يحقق المتخاطبون بفضلها ويُعدلون ما يرسمونه من تمثيلات، وأكد أن السبب في تواصل البشر ببعضهم البعض تواصلًا مناسبًا يرجع إلى اتسامهم فطريًا بالميل إلى مساعدة الآخرين ومعاونتهم، وحاول أن يضع مبادئ هذا السلوك التعاوني ويمكن تلخيصها في مبدأ واحد.

هو "كن متعاونًا". وهو مبدأ يمثل ميل البشر الفطري إلى مساعدة بعضهم بعضًا³.

وإن خضوع المخاطب للمتلقى وخضوع المتلقي للمخاطب يعني البحث عن القواعد التي تسهم في تواصل النشاط الكلامي (الخطابي) استنادًا إلى مبادئ غرايس الأربعة والتي اعتبرت بمثابة أحكام صاغها بعد ذلك على شكل قوانين⁴ تقضي بتعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من حوارهم وصيغته كالتالي:

• **ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه⁵.**

وهذا يعرف **بمبدأ المشاركة** ويشكل هذا المبدأ عند غرايس العمود الفقري في النشاط الكلامي إذ أنه يُمكن للمتخاطبين من ضمان عدم انقطاع التواصل، لذلك فإن لكل طرف من أطراف الخطاب يعترف لنفسه وللآخر بالحق في تناوب على الكلام⁶ القواعد المشتقة منه موزعة إلى أربعة أصناف:

1- نفسه، ص 252.

2- بهاء الدين محمد يزيد: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص 51.

3- ينظر جين إتشسن: اللسانيات مقدمة إلى المقدمات، ترجمة: عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016، ص 112، 113.

4- حمو الحاج ذهيبية: لسانيات التلطف والتداولية وتداولية الخطاب، الأمل، تيزي وزو، ط2، 2012، ص 190.

5- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار والتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط2، 2000، ص 103.

6- عمر بلخير: الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية، رسالة ماجستير، إشراف خولة طالب الإبراهيمي، جامعة الجزائر، 1997، ص 98.

مبدأ الكم: - لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته

- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب

مبدأ الكيف: - لا تقل ما تعلم كذبه

- لا تقل ما ليس لك عليه بنية ¹

مبدأ العلاقة (المناسبة): أن يكون كلامك مناسباً لموضوع الخطاب ² أي ليناسب مقالك مقامك.

مبدأ الجهة: - لتحترز من الخفاء في التعبير

- لتحترز من الاشتباه في اللفظ

- لتتكلم بإيجاز

- لترتب كلامك ³، على المتكلم أن يكون أكثر إفصاحاً وإيجازاً وأن يبتعد

عن الغموض والإبهام ⁴.

ومن خلال هذه المبادئ التي تلتقي في مبدأ العلاقة ومنها انبثقت ثلاثة قوانين للخطاب وهي:

أ / قانون الإفادة: يعتبر المركز الذي تدور حوله القوانين الأخرى، ذلك أن الخطاب يتوقف على مدى استفادة المستمع من كلام الملقى ⁵.

ب/ قانون الصدق: إن من خصائص الكلام البشري قدرة الإنسان على استعمال الكذب والمغالطة في الكلام ⁶ فـ "غرايس" يركز في وضعه لهذا المبدأ على ميزة الصدق التي يتجلى بها المخاطب ويتمثل الصدق في قول الحقيقة كما هي موجودة في الواقع، وكما يعتقدها المتكلم في إدراكه للواقع.

ويبقى على السياق الكشف على ميزة الكذب وتبيان ذلك عن طريقة أفعال دالة على التوكيد: الإقرار والإثبات أو القسم ⁷.

1- ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص104.

2- عمر بلخير: مرجع سابق، ص98.

3- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار، ص104.

4- عمر بلخير: الخطاب تمثيل للعالم، ص 98.

5- ينظر: حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ ص191

6- عمر بلخير: الخطاب تمثيل للعالم ص 102.

7- حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ، ص192.

ج/ قانون الإخبار والشمول: يشكل الإخبار القصد والغرض من التخاطب وهو من الأسس التي يُستمد بواسطتها الفكر وينتقل إلى المتلقي فالمخاطب ضمن هذا الأساس يعتمد إلى إعطاء عدد من المعلومات من الضرورة أن تكون شاملة وعامة.¹

4 - أنواع الخطاب

تتعدد أنواع الخطاب العربي وتختلف باختلاف مرجعيتها ولقد قسمها منذر عياشي إلى ثلاثة أنواع يأتي على رأسها الخطاب القرآني الذي هو موضوع دراستنا في جانبها التطبيقي:

- 4 - 1 - **الخطاب الإيصالي:** نماذجه متنوعة مثل: الخطاب السياسي والارشادي والوعظي والقضائي والاجتماعي...، يقول الجابري: "صنفنا الخطاب إلى أربعة أصناف الخطاب النهضوي وجعلناه يدور حول قضية النهضة عامة والتجديد الفكري والثقافي خاصة، الخطاب السياسي، الخطاب القومي، ويأتي الخطاب الفلسفي أخيراً ليعود بنا إلى صلب الإشكالية العامة للخطاب العربي الحديث والمعاصر وإشكالية الاصاله والمعاصرة".²
- 4 - 2 - **الخطاب الإبداعي (الشعري):** ونماذجه متعددة هي الأخرى لكن يتميز عن الأول بأنه خطاب يقوم على مبدأ الأجناس الأدبية³ وما يميز هذا النوع هو علاقة الافتراضية بين ما هو موجود في البنية الداخلية، وبين ما هو متحقق في الواقع الخارجي، وذلك أنه يعالج الأحداث والوقائع في شكل مواضيع أو قضايا بطريقة فنية جمالية توّطرها الأجناس الأدبية، سواء أكانت شعرية أو نثرية.⁴
- 4 - 3 - **الخطاب القرآني:** هو خطاب إلهي معجز، متفرد عن غيره من الخطابات في كل مستوياته، وأهم ما يميز الخطاب القرآني مرجعيته فإله سبحانه وتعالى هو المرسل والخطاب القرآني لا يُنطق إلا بلفظه، حيث لا يجوز لقارئه أن يقرأه إلا بلفظ داله، وإن اختلفوا في لغات المدلول فهو مرسل للناس كافة.⁵

1- ينظر: نفسه، ص 193.

2- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ص 16.

3- منذر عياشي: مقالات الأسلوبية، المرجع السابق ص 215، نقلاً عن بن يحيى ناعوس: تحليل الخطاب في ضوء السياسات النص، ص 30.

4- هناء حلاسة: بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين دراسة وصفية لنماذج خطابة، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط 1، 2016، ص 39.

5- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد العرب، دمشق ط1، 1990 نقلاً عن كريم بن يحيى ناعوس، تحليل

الخطاب في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في السياسات

فالخطاب القرآني يشتمل على بعدين: الاتصال (التبليغ)، والإبداع المتجلي في الإعجاز¹ وفي طيات الخطاب القرآني العام هناك خطابات خاصة منها خطابات أهل الكتاب التي لها تشكيلات حجاجية يحاول بحثنا الوقوف عليها ولهذا فحري بنا أن نفتح مجالا لنعرف بأهل الكتاب .

*** تعريف أهل الكتاب**

قال الطبري (ت 310 هـ، 923 م) وإنما قلنا عنى بقوله "يأهل الكتاب أهل الكتابين لأنهما جميعا من أهل الكتاب ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله يأهل الكتاب بعضا دون بعض فليس بأن يكون موجهها ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة، بأولى منه بأن يكون موجهها بأنه مقصود به أهل الإنجيل، ولا أهل الإنجيل بأن يكونوا مقصودون به دون غيرهم من أهل التوراة، وإذ لم يكن أحد الفريقين بذلك أولى من الآخر لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر ولا أثر صحيح فالواجب أن يكون كل كتابي معنيا به لأن أفراد العبادة لله وحده وإخلاص التوحيد

له واجب على كل مأمور منهي على خلق الله واسم أهل الكتاب يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل فكان معلوما بذلك أنه عني الفريقان جميعا².

فأهل الكتاب يطلق على طائفتين اليهود والنصارى، ورد في اثنين وثلاثين موضوعا بالقرآن الكريم وقد يدل على الطائفتين معا أو على طائفة دون أخرى حسب دلالة السياق وأسباب النزول والأصل في دلالة اللفظ في القرآن الكريم أنه جاء لليهود والنصارى مجتمعين³

ومن أقر بالأنبياء من أهل الكتاب خوطبوا بأهل الكتاب يا بني إسرائيل⁴.

5 - العلاقة بين الخطاب والحجاج

يقول طه عبد الرحمن: " حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية وليس العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بغير حجاج ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض... فإذا ثبت أن الحجاج هو الأصل في الخطاب و ثبت أيضا أن العلاقة استدلالية أصلية يتفرع عليها سواها ولا تتفرع

نص

إشراف محمد ملياني، جامعة وهران، 2013، ص 28، 29.

1- حبيب فياض: مقاربات في فهم الدين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2008، ص178.

2- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق: أحمد شاکر مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ج6، ص185.

3- موهوب أحمد: استراتيجيات الخطاب لأهل الكتاب في القرآن الكريم، اطروحة الدكتوراه، إشراف: صالح بن حديث

جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2017، ص116.

4- الزركشي: البرهان في علوم القرآن تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1957، ج1

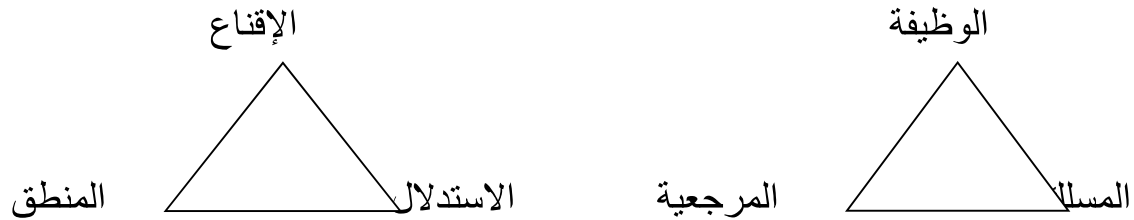
ص261.

على سواها وإذا تضمن الخطاب علاقة تخاطبية، فيجب حينئذ ردها إلى العلاقة الاستدلالية¹. ويقول أبو بكر العزاوي: "ينطلق الحجاج اللغوي من الفكرة الشائعة التي مؤداها، أننا نتكلم عامة بقصد التأثير وهي تحاول أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية

أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية².

من خلال المقولتين يتضح أنه لا خطاب من دون حجاج ولا حجاج من دون خطاب، وأن الجوهر الحجاجي في الخطابات يرتبط بالعلاقات المنطقية والاستدلالية التي يتسم بها الخطاب، إلى جانب مكوناته الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية وبصفة أقل العلاقة التواصلية بين طرفيه وجميع الأسبقية التي ساهمت في بنائه، لأنه لا يمكن الحديث عن الخطاب من دون السياق لما يحتويه من أبعاد تسهم في تحديد التوجيه الحجاجي.

فالخطاب الحجاجي نجد أن وظيفته الإقناع والمسلك فيه هو الاستدلال والمرجعية هي المنطق³



فهذان المثلثان يوضحان الصلة الوثيقة بين الخطاب والحجاج، ومن مدلولات الخطاب معنى المحاجة والجدل ومحاولة إقناع الغير، فالخطاب في هذا الجانب هو محاولة صاحبه التأثير في المخاطب⁴.

وانطلاقاً من مفهوم الخطاب عند الجابري حيث يعرفه بقوله: "هو بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الوجهة من النظر مصوغة في بناء استدلال، أي بشكل مقدمات

1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ط1، 1998، ص226.

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، دار البيضاء، ط2006، ص1، ص9.

3- ينظر: محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016، ص21، ص20.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون

المطبعة الجزائرية، ط1، 2012، ص16.

وننتائج¹، وهذا التعريف قريب من مفهوم الحجاج إذ يقوم على بناء للمقدمات والنتائج في شكل بناء استدلالي أي حجج، ف"الحجة ترابط صوري لمقدمات معروضة بهدف إثبات نتيجة ما"² والخطاب بمعنى الكلام وهو مشتق من التأثير، يقال كلمه إذا أثر فيه بالجرح، فسمى الكلام كلاماً لأنه يؤثر في ذهن السامع، فائدة لم تكن عنده³.

فالحجاج يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخطاب لأن هدفه الكشف على المنطق الداخلي للخطاب، من خلال الأدلة والبراهين وهذا ما يضمن تماسك عناصر الخطاب وانسجامها، انطلاقاً من صحة حججه وأدلتها وهذا ضماناً لتحقيق هدف الخطاب وهو التأثير وإقناع المتلقي.

1- محمد العابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 5، 1994، ص 10.

2- فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ لنظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي، الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة المملكة العربية السعودية، ط 1، 2011، ص 90.

3- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضلي إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، ج 1، ص 279.

ثانيا: الأشكال الحجاج في خطابات أهل الكتاب

1 - حجاجية الحوار

2 - حجاجية المناظرة

3 - حجاجية المجادلة

4 - حجاجية المباهلة

ثانياً: الأشكال الحجاجية في خطابات أهل الكتاب

تمهيد

في ظل هذا التداخل بين الشعوب والثقافات و الأديان بسبب رهان العولمة، والمسلم بدوره ليس معزولاً عن هذا العالم، فلا بد أن يتعايش و يتأقلم معه أخذاً بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13).

لقد رسم الله عز وجل لنا منهجاً في التعامل مع الغير، و منهم أهل الكتاب، و هذا النهج مبني على بعد حجاجي، يختلف عن غيره من المناهج و العلوم الوضعية من علم المنطق و علم الجدل و غيرها من العلوم التي تضبط نسق المناظرات و التواصل، و لهذا أردنا في هذا الجانب التطبيقي استخراج أهم أشكال الحجاج و الحجج والأدلة المشكّلة لهذا الخطاب المعجز، فإننا في هذا لسنا بصدد تطبيق المقاربة الحجاجية في تحليل الخطاب القرآني لأهل الكتاب(خطابات أهل الكتاب)، بل في استخراج أهم المكونات التي جعلت من هذا الخطاب خطاباً حجاجياً يحمل أسمى مقومات التأثير وأعلى درجات الإقناع لما فيه من هندسة في تقديم الحجج ورد شبهات ومغالطات أهل الكتاب، اعتماداً على الأخلاق الراقية ومخاطبة العواطف والوجدان باستخدام أساليب تهز المشاعر وتلين القلوب، لتجعل من المعاند مدعناً للحق وهذا الوليد بن المغيرة مثال من أمثلة أرباب الكفر والتعنّت لما سمع القرآن العظيم مخاطباً الملائكة من قريش "و الله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً، ما هو من كلام الإنس ولا كلام الجن إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق، و إنه يعلو وما يعلو " ولما قالت قريش عندئذ صباً و الله الوليد، احتالوا عليه ليطعن في القرآن الكريم لم يجد حيلة إلا أن يقول (إن هذا إلا سحر يؤثر)¹

وفي ذلك يقول الله عز وجل: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١﴾ فَفَعَّلَ كَيْفَ قَدَرٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٤﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٥﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٦﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٧﴾) (المدثر: 18..24).

1- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، مصر، ط 3

وهذا إقرار من خبير باللغة وعالم بأفانين العرب في كلامها، لما سمع من قرآن تميل له القلوب، ويعصف بالعواطف، ويهز النفوس بقوة حجته وحسن سبك أدلته، واكتمال منطقته، وتراصف حججه ... فإننا في هذا الجزء نحاول دراسة الأبعاد الحجاجية في أهم مكونات أشكال هذا الخطاب للتوقف عند جانب من بلاغة حجاجيتها منطلقين من فكرة بديهية هي أن الخطاب القرآني هو خطاب حجاجي إقناعي بالدرجة الأولى

إن التشكيل الخطابي للحجاج في خطابات أهل الكتاب لابد أن نتناوله في سياقه التاريخي، أي بتفعيل جميع الأسيقة التي ورد فيها معتمدين على سبب النزول وفهم المعنيين به من خلال الدعاوي والأطروحات والمغالطات التي قدموها وكيفية تلقيهم له وفي الجهة المقابلة الحجج المضادة التي رد بها النبي صلى الله عليه وسلم إبطالا لشبههم، والحجج والأدلة والبراهين التي قدمها لأننا بصدد تطبيق نظرية الحجاج الخطابي التي تختلف عن نظرية الحجاج اللغوي أي بعد أن جمع الخطاب القرآني في مصحف وأصبح نصا.

فالنظريتان تختلفان حيث يقول جميل حمداوي: "وعليه تتميز نظرية الخطاب الحجاجي بشكل من الأشكال عن نظرية الحجاج اللغوي عند أنسكومبر و ديكرو، فالأولى تعنى باستخراج الحجاج داخل النص أو الخطاب في حين تهتم الثانية بدراسة البنية الحجاجية في الجمل والملفوظات اللغوية واللسانية وصفا و تفسيراً"¹ وهذا ليس لقتل الأبعاد الحجاجية لهذه الخطابات، بل للوقوف على المقاصد الحجاجية وهذا لخصوصية الخطاب القرآني، ولأننا بصدد تتبع المنهج الرباني في المحاجة والجدل.

1 - حجاجية الحوار:

لقد أخذ القرآن الكريم بمبدأ الحجاج وذلك ضمناً بأن اعتمد الحوار والجدال البناء أسلوباً أصيلاً في توجيه الخطاب²، وخص أهل الكتاب بخطاب يتميز عن سواه من الخطابات القرآنية لخصوصية المخاطب، سواء تعلق بالقرآن المكي أو المدني منه.

وقد حث الله عز وجل على الحوار والجدال بالتالي هي أحسن فقال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: 125).

1-جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 49.

2-زكريا بشير إمام: أساليب الحجاج في القرآن الكريم، نماذج من الحجج الاستنباطية، مطبوعات الحركة الإسلامية الطلابية، 1995، ص10.

فيقول ابن القيم (ت 751هـ، 1350م) في هذه الآية: "جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق:

- فالمستجيب القابل الزكي الذي لا يعاند الحق ولا ياباه يدعى بطريق الحكمة.

- القابل الذي عنده نوع الغفلة والتأخر يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة.

- والمعاند الجاحد يجادل بالتالي هي أحسن.

هذا هو الأمر الصحيح في معنى هذه الآية، لا ما يزعم أسير منطق اليونان أن الحكمة قياس البرهان، وهو دعوة الخواص، والموعظة الحسنة قياس الخطابة وهو دعوة العوام والمجادلة بالتالي هي أحسن القياس الجدلي وهو رد شغب المشاغب بقياس جدلي مسلم المقدمات¹.

ويقول ابن تيمية (ت 728هـ، 1328م) رحمه الله وأما الجدل فلا يدعى به بل هو من باب دفع الصائل فإذا عارض الحق معارض جودل بالتالي هي أحسن ولهذا قال وجادلهم فجعله فعلا مأمورا به مع قوله ادعهم فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمره أن يجادل بالتالي هي أحسن، وقال في الجدل بالتالي هي أحسن، ولم يقل كما قال في الموعظة لأن الجدل فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتالي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل، فما دام الرجل قابلا للحكمة أو الموعظة الحسنة أو لهما جميعا لم يحتج إلى المجادلة فإذا مانع جودل بالتالي هي أحسن².
إن هدف الدعوة الأول هو إدخال الناس في الإسلام، ولذا فإن الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وأما الهدف الأول للجدال والمحااجة هو دفع الخصوم وإقامة الحجة وبعدها يأتي هدف اقتناع المجادل بالحق³.

أما يوسف القرضاوي فيقول فيها: "فالموافقون لك في الدين تدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، أي ما يقنع العقول، وما يحرك القلوب والعواطف، والمخالفون يجادلون بالتالي هي أحسن، بمعنى أنه لو كانت هناك طريقتان للحوار: طريقة حسنة، والطريقة أحسن منها وأجود، فالمسلم مأمور أن يستخدم الطريقة التي هي أحسن والأفضل، وقد اكتفى القرآن

1- ابن القيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن الحسن بن القائد،

مؤسسة ابن عبد العزيز الراجحي الخيرية، المجلد 1، ص 433.

2- ابن تيمية: الرد على المنطقيين، دار المعرفة بيروت، ص 467

3- سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، دار الوضاح الأردن، د ط، ص 251

مع الموافقين بأن تكون الموعظة الحسنة، ولم يرض مع المخالفين إلا أن يكون الجدل بالتالي هي أحسن¹.

فالآية فيها إشارة إلى تنوع أسلوب الدعوة والحوار، وهذا لاختلاف طبيعة الناس في ميولاتهم ومشاربهم وحتى طريقة الحوار معهم، وللتقريب مع الرأي السابق الذي في تفسيره للآية

أن على الداعية للحق وللهداية أن يتسلح بعلوم أخرى، منها علم الجدل والمناظرة وحتى المنطق وهذا ديدن أسلافنا من العلماء ولاسيما الأصوليون المتكلمون منهم، ولهذا أردنا تتبع حجاجية الحوار والجدال.

ولقد نص القرآن على الحوار مع أهل الكتاب لقوله تعالى (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت: 46).

وعبارة (بالتالي هي أحسن) تشمل بعمومها الأساليب الفكرية والقولية، وبهذا يتبين لنا أن المطلوب من المسلم أن يكون في مجادلته على حالة أرقى وأحسن باستمرار من الحالة التي يكون عليها من يجادله، أدبا وتهذيبا، أو قولاً وفكراً².

1- تعريف الحوار:

أ- لغة:

الحوار مأخوذ من (حور) يقول ابن فارس: "الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراً³.. والحوار مصدر حار حورا، رجع. وتقول: كلمته فما رجع إليّ حواراً وحوارة وحويراً⁴ ويقول ابن منظور: وكلمته فما رجع إليّ حواراً إلى و الحوار أو المحاورة و حويراً ومحوراً بضم الحاء بوزن مشورا أي جواباً وأحاراً عليه جوابه رده و أحرته جواباً وما أحر بكلمة، والاسم من المحاورة الحوير، يقول: سمعت حويرهما وحوارهما، والمحاورة: والمجاورة والتجاوز التجاوب، وتقول كلمته

فما أحر إليّ جواباً وما رجع إليّ حويراً ولا حويرة ولا محورة ولا حواراً أي ما رد جواباً

1- يوسف القرضاوي: في فقه الأقليات المسلمة حياة المسلمين وسط المجتمعات الأخرى، دار الشروق، القاهرة، ط 1،

2001، ص 67، 68.

2- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص 362.

3- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، ج2 ص 115.

4 - نفسه، ص 117.

و استحاره أي استنتقه... وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وحاوره وقد حاوره، والمحورة: من المَحَاورة مصدر كالمشورة من المشاورة¹.

فمن خلال المعجمين يظهر لنا أن الحوار هو أخذ ورد للكلام فهو شكل من أشكال التخاطب والتجاوب بين الناس، فالكلام يأخذ شكل حلقة. يدور بين المتخاطبين، وفي الحوار تظهر الوظيفة التواصلية بشكل جلي وتتجسد كل من دائرة التخاطب لسوسير وحلقة التواصل لجاكسون

ب - اصطلاحا:

الحوار عند العلماء المتقدمين يسمونه "الجدال"، و يستدلون عليه بقوله جلّ و علا (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (المجادلة: 1) فسمي ذلك الجدال و المجادلة حوارا².

و الحوار هو حديث يدور حول موضوع ما بهدف التوصل إلى حقيقة أو نتيجة ما، وهذا الحوار قد يدور بين المرء و نفسه (الحوار الذاتي)، وقد يدور بين اثنين، أو أكثر أو بين جماعات داخل المجتمع، أو القطر الواحد (الحوار الداخلي) أو بين أديان و ثقافات و حضارات مختلفة (الحوار مع الآخر)³.

وإن للحوار بعدا ما يسمح بضبط صحة الاستدلال من خلال تحديد طريقة مشروعة لإلزام الخصم بدعوى ما⁴. كما أن الحوار يتسم بصفة الإقناعية، فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور.

وإذا اقتنع الغير بهذا الرأي، كان كالقائل به في الحكم، و إذا لم يقتنع به رده على قائله، مطالعا إياه على رأي غيره، و مطالبا إياه على مشاركته القول به، وقد تزودج أساليب الإقناع بأساليب الإمتناع، فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب و توجيه سلوكه. لما يهبها هذا الامتناع من قوة في استحضر الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين⁵.

1- محمد بن مكرم بن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1955، ج 4، ص 217.

2- سعد بن ناصر الشثري: أدب الحوار، كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 2006، ص 9.

3 - محمد إبراهيم خاطر: الحوار فريضة شرعية وضرورة بشرية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، 2012، ص 7.

4- طه عبد الرحمان: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 30

5- نفسه، ص 38.

و الحوار فن من فنون التخاطب، يتم لغويا أو بتعبيرات الجسد عن طريق الإشارة والإيماءة أو حتى بالصمت والتجاهل، ولم يعد الحوار مقصورا على شكل من أشكال اللقاء بين أطراف مختلفين أو متفقين، للنقاش والجدل حول موضوع بعينه، ولكنه اتسع لأساليب وأشكال مختلفة متنوعة، بهدف التأثير على الآخر و كسب ثقته أو دحض معتقداته و آرائه أو إزالة بواعث النفور والكرهية، وإيجاد أرضية مشتركة للتقارب¹.

ويعرف طه عبد الرحمان الحوار بقوله: " هو نص استدلالي مبناه على البلاغ الذي يتناوب عليه الجانبان، نص يؤول إلى الانفصال عنهما بمحو العارض منهما لآثار المعروض عليه لينتهي بدوره إلى الانمحاء منه. والحوار كنسق استدلالي هو نمط من الخطاب يرمي إلى حث المخاطب على القناعة بأمر ما بتقديم دعوى مدعومة بواحد أو أكثر من الأدلة².

و قد مر هذا النسق في تاريخه الطويل بمراحل هيمن عليه البرهان الأرسطي³، حيث يعرف أرسطو(ت 323 ق م) الحوار " بأنه فن من البرهنة و النقض، و مواجهة الخصم بالنقائص"⁴

وباعتبار الاستدلال هو طلب الدليل، والدليل مرادف للحجة والبرهان كما أشرنا في معنى الحجة لغة، ومن خلال هذا المفهوم يمكن أن نقول: "الحوار هو فن المحاجة والنقض ومواجهة الخصم بالنقائص بتقديم أدلة ودحض أخرى".

الاستدلال: يقصد به مجموعة من الأوليات المنطقية التي تمكننا من استنباط المعاني المسكوت عنها، انطلاقا من المحتوى الحرفي للملفوظ⁵. وهو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو من عدة قضايا⁶. وعرفته أريشيوني(Orechioni) بقولها: الاستدلال عملية قد تطلق على كل قضية مضمرة نستطيع استخراجها من ملفوظ ما و استنباطها من محتواه الحرفي، ونحن ننسق معلومات الوضع المتغير⁷. وهذا المفهوم قريب من مفهوم الاستلزام التخاطبي، الذي يقوم على خرق مبادئ التعاون عند جرايس، وحتى هذه الاستلزمات تقوم على علاقة تعاونية بين الأفراد المتحاورين انطلاقا من معلومات مشتركة بينهما . ويعتمد القائم بعملية الاستدلال(المخاطب) على كفايته اللسانية و المقام و المبادئ العامة للحوار و القواعد الخطابية فنجاح عملية التواصل اللفظي تتوقف على الطابع القصدي للرسالة و على الاستدلالات التي يقوم بها المخاطب، يقوم هذا الأخير من الاستدلالات غير

1 - محمد إبراهيم خاطر: الحوار فريضة شرعية وضرورة بشرية، ص8.

2 - محمد علي يونس: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، كنوز المعرفة، الأردن،

ط2016، ص 130

3 - جابر عبد العزيز: حقوق الإنسان دراسة مقارنة بين العهود والمواثيق، دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية، ط1، 2008 ص 55.

4 - نفسه، ص55.

5 - حسن بدوح: المحاور (مقاربة تداولية)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012 ص 151.

6 - عبد الرحمان حسن الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستلال المناظرة ص 149 .

7 - حسن بدوح: المحاور (مقاربة تداولية) ص 151.

البرهانية اعتماداً على المبادئ العامة للتواصل، والنتيجة المحصل عليها من خلال هذه الاستدلالات، هي نجاح العملية التواصلية وموافقتها لمقاصد المتكلم¹.

يقوم الخطاب الحجاجي على خاصيتي التفاعل interaction والتحاور dialogique،

فالخطاب يرتبط بوضعية طرفيه بحيث يبدو التناقض جلياً بين استراتيجيات الإقناع والاستدلال الصوري الذي يتناول الحقائق العامة دون التقيد بالسياق².

والمحاورة تسلك سبل الاستدلال، فالمحاور يعتمد في بناء نصه الصور الاستدلالية مجتمعة إلى مضامينها أوثق اجتماع، وفيما تطوى الكثير من المقدمات و النتائج، و يفهم من قوله أمور غير تلك التي نطق بها، وكل سبيل استدلال هو سبيل احتجاجي لا برهاني و يقسم طه عبد الرحمان الممارسة الحوارية إلى ثلاث بيانها في الجدول التالي³

مكونات البنية الحجاجية						مراتب الحوارية
الشاهد النصي	النموذج النظري	البنية المعرفية	الآلية الخطابية	المنهج الاستدلالي		
الحوار العلمي الحوار الفلسفي	نموذج البلاغ نموذج الصدق	النظر	العرض	البرهان	الحوار	
المحاورة القريبة المناظرة المحاورة البعيدة التناص	نموذج الإبلاغ نموذج القصد	المناظرة	الاعتراض	الحجاج	المحاورة	
التناظر الرأسي التناظر الأفقي	نموذج التبليغ نموذج التفاعل	التناظر	التعارض	التحاجج	التحاور	

1 - ينظر، حسن بدوح: المحاوره (مقاربة تداولية)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص 151.

2- سامية الدردي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن ط 2، 2011 ص 32.

3- ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 46.

2 - مكونات الحوار الحجاجي وأنماطه

2 - 1 - مكونات الحوار الحجاجي:

وهذا يظهر من خلال العلاقة التحوارية التخاطبية بين المخاطب والمخاطب والتي تتغير وتتغير فيها الأداءات في ظاهرتي التشخيص والمقام:

(أ) **التشخيص:** ويتجسد في خاصية تلفظية، تتميز بحدة العلاقة الخطابية مع الشريك أكان حقيقياً أو متخيلاً، فردياً أو جماعياً، أي هو تجريد ذات ثانية ينزلها المخاطب من نفسه منزلة المعارض على دعواه وهو نوعان صريح وضمني¹.

(ب) **المقام:** هو مفهوم تجريدي يدل على الموقف التواصلية وتلتقي فيه جميع العناصر الحجاجية من قدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية، والمقام شرط تداولي مؤثر في الأداءات، لأنه يعنى بالضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال، والموقف الخاص به². وهذا ما ذهب إليه الجاحظ (ت 255 هـ، 868م) حينما قال "مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"³.

2 - 2 - أنماط الحوار

جمع دوجلس (Douglas) أنماط الحوار في الجدول وبين الفروق بينهما من حيث:

الوضع الأولي والطريقة والهدف⁴.

الحوار	الوضع الأولي	الطريقة	الهدف
مشاجرة	هياج انفعالي	هجوم شخصي	تعدي على الآخر
مناظرة	صراع جدلي	تأثير في المتلقي	انتصار عملي
إقناع "مناقشة نقدية"	اختلاف وجهات نظر	إثبات داخلي وآخر خارجي	إقناع الآخر
تحقيق	افتقاد دليل	حجاج مبني على معرفة سابقة	تكوين دليل

1 - هاجر مدقن: آليات تشكّل الخطاب الحجاجي، ص 192

2 - نعمة دهش فرحان الطائي: نظرية المساءلة لمابير، ص 2189

3 - الجاحظ: البيان والتبيين، ص 55.

4 - جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص 114.

مفاوضة	اختلاف مصالح	مساومة	مكسب شخصي
استقصاء معلومات	افتقاد معلومات	استفهام	حصول على معلومات
حث على فعل أو سلوك	حاجة إلى ذلك الفعل	إصدار أوامر	فعل
تعليمي	جهل	تعليم	نقل معرفة

3 - مميزات الحوار في القرآن الكريم:

أولاً: الإقناع العقلي، وهذه هي خصوصية الحوار، فالحوار وسيلة للإقناع و ربما يعتبر من أهم وسائل الإقناع، و لهذا اتجه الحوار إلى مخاطبة العقول و طرح التساؤلات العقلية التي يمكن أن يثيرها العقل، وبخاصة في القضايا التي تتصل بالعقيدة والإيمان وإذا لم يحقق الحوار في بعض المواطن أغراضه بطريقة مباشرة فإنه على الأقل يساعد العقل على تلمس بعض الحقائق الإيمانية التي لا تدرك إلا بالذوق الإيماني و صفاء النفس وطهارة ونقاء الفطرة، والمنهج العقلي في القرآن الكريم واضح بيّن، فالقرآن يخاطب العقل البشري وينيظ به مهمة التفسير و الفهم، ويجعل المخاطب الموثوق بحسب إدراكه و عمق فهمه، و سلامة عقله يستجيب لمنهج القرآن في الحوار، لأن القرآن الذي يخاطب العقول لا يمكن أن يقرر حقائق منافية لها.

ثانياً: استخدام اللغة لإحداث التأثير النفسي ومفردات القرآن متميزة في قوة تأثيرها، وفي دقة تعبيرها وفي إحداث التأثير المطلوب منها، ولو استبدلت لفظة قرآنية بأخرى لضعف التأثير و اختلف المعنى و ترهلت العبارة، و من اليسير علينا أن ندرك عند قراءتنا للقرآن أثر اللفظة القرآنية في إحداث التأثير النفسي. (و لو حاولنا أن نستبدل لفظة من ألفاظ الحوار لاختل المعنى)¹.

يعتبر الحوار الوارد في القرآن الكريم أروع و أعظم حوار على وجه الإطلاق، وبه من الإعجاز الفني واللفظي، والمعنوي ما أعجز البشر وخبراء لغة العرب ماضيها وحاضرها على أن يأتوا بسورة من مثله.²

4 - أساليب الحوار في خطابات أهل الكتاب:

أ) الأسلوب المباشر: في الدعوة يقول تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 64)

1- محمد فاروق النبهان: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب ط، 1، 2005، ص 278، 279.

2 - بشير خليف، بحثاً عن ثقافة الحوار مع الذات ومع الآخر، دار الهدى الجزائر، (د، ط)، 2018، ص 70.

ب) أسلوب التذكير¹: يقول تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: 47) .

ج) أسلوب الترغيب و الترهيب : يقول تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ

مَا يَعْمَلُونَ) (المائدة: 66) . و بقوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة: 73)

د) أسلوب الإنكار: يقول تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

(آل عمران: 70، 71).²

5 - العلاقة بين الحوار والحجاج

الحوار هو من أهم أشكال التفاعل اللفظي، وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج بامتياز³، فالحوار رأس الحجاج وسنم ذروته⁴، ويتوسل الحجاج ليظهر نفسه ويكون فاعلا بأداة وأسلوب، أما الأداة فهي اللغة، وأما شكل الحجاج فهو الحوار ولا ينفي هذا التداخل الشديد بين اللغة والحوار.⁵ وسبق أن أشرنا إن الخطاب يلتقي مع الحجاج من خلال جوهر التأثير و يقول أفلاطون(عاش بين 427 ق م ، 347 ق م) يشكل الحوار بنية جوهرية في

1- عبد الرحيم بن صمايل السلمي: الحوار بين الأديان (حقيقته و أنواعه) ص 12، www.pdf.factory.com

2 - عبد الرحيم بن صمايل السلمي: الحوار بين الأديان (حقيقته و أنواعه) ص 13، www.pdf.factory.com .

3 - أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص53.

4 - الغالي بنهشوم: أساليب الحجاج في الخطاب، ص26.

5-معتز حسن محمد أبو قاسم: مدخل على المنطق الطبيعي الحجاجي، الحجاج ضرورة إنسانية <https://derg park.org.tr>

13-12-2016، ص66.

الخطاب ويحتفظ السؤال والجواب بحركة الكلام وفعاليته¹ والحوار واقعة تربط بين واقعتين هما التكلم والسماع ومن هذه الواقعة الحوارية يصير الفهم والإفهام ومنها التأثير والإقناع.² وتصور بيرلمان(perleman) للحجاج يكمن فيما يلي:

الباعث	طبيعة الموضوع	العلاقة بين الطرفين أثناء الحجاج	الحجج دورها وطبيعتها، شرطها	المحور	الغاية الغاية الأسمى
الاختلاف	الاحتمال والإمكان	تفاهم و تقارب وتعاون	الترجيح المعقولة والمقامية	المتلقي	الاستمالة والتأثير والإقناع
الحرية					

واضح أن الحجاج بهذا التصور لا يكون إلا في مجتمع متحضر ديمقراطي³

وهذه المكونات موجودة في تقنية الحوار ومتجسدة في أصوله وقواعده وأسمى تجليات الحوار وأعلاها مرتبة في الإقناع والتأثير هي الحوارات التي وردت في القرآن الكريم وبالأخص الحوار مع أهل الكتاب.

الحرية متجسدة في قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: 256).

وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 64)

كما نجد أن هناك العديد من المحاورات جاءت لاستمالتهم وإقناعهم من خلال ترغيبهم ومخاطبتهم من خلال النقاط المشتركة بينهم وبين المسلمين وهذا في

1- بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى ،ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2006، ص42.

2- نفسه: ص44.

3- جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 2000، 111.

قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت: 46)

وقوله: (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران: 114). (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الشورى: 15)

وفي التقارب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب إلى كلمة سواء بعد المباهلة وذلك في قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 64). وهذا فيه تلميح في الدعوة بعد ما حصل في الحوار من تعنت ومراء وجدال. وقوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت: 46)

إن من أهم مفاهيم الحجاج التي عرضها "ريتشارد (Richard)" و "مالكولم (Malcolm)" اتفاقاً فيما بينها على كون الحجاج عملية اتصالية مبناها التفاعل والتشارك الذي نجده في الحوار بقصد الإقناع و التأثير في الآخرين هي:

- طريقة في تعليل واستدلال بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك.
- عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين.¹

1- جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص، 105-106.

2 - حجاجية المناظرة

2 - 1 - تعريف المناظرة

١ - لغة: أن تتناظر أخاك في أمر، إذا نظرتما فيه معا كيف تأتينا...، ونظيرك: الذي يراوذك وتناظره، وناظره من المناظرة، والنظير: المثل، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رأهما سواء... ويقال ناظرت فلانا: أي صرت نظيرا له في المخاطبة.¹

ب - اصطلاحاً: يطلق عليها طه عبد الرحمن المناظرة القريبة ويعرفها بقوله: هي النظر من جانبيين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها، فالمناظر هو من كان "عارضاً" أو "معتزلاً" وكان لعارضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعياً وراء الإقناع والافتناع برأي سواء أظهر صوابه على يد هذا أو على يد محاوره.²

والقرآن الكريم حافل بهذا النوع من المحاورات يقول ابن القيم: "وإذا تأملت القرآن وتدبرته وأعرتة فكراً اطلعت فيه من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة وذكر النقض والفرق والمعارضة والمنع وعلى ما يشفي ويكفي لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه³ والمناظرة هي الجدل بالتي هي أحسن، والهدف منها الإقناع والتأثير بالحق وتبصير الواقف على الحقيقة أخاه المناظر له بها والأخذ بيده في طرق الاستدلال الصحيح لإبلاغه وجه الحق المشرق، وذلك باستخدام الحوار البريء من التعصب الخالي من العنف والانفعال.⁴ ومن معجم المناظرة في اللغة المحاورة والمجادلة والمخاطبة والمحاجة والمناقشة والمراجعة والمطارحة والمساجلة والمعارضة والمناقضة والمدولة والمداخلة والمفاوضة والمباحثة والمنازعة والمذاكرة.⁵ فجميع هذه المفردات والمصطلحات تدور في فلك الحوار وتتطلب تفاعلاً بين طرفي الخطاب، ودوران لمجرى الكلام بينهما

في شكل حجج وحجج مضادة وانساق استدلالية تهيكّل بنية المحاجة وسيرورة الحجج وانتظام النتائج والمناظرة هي المجادلة لإظهار الحق وهي المطلوبة في قول الله تعالى في

1 - ابن منظور: لسان العرب ج5، ص215.

2 - طه عبد الرحمن: في أصول الكلام، ص46، 47.

3 - ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1996، ج4، ص941.

4 - ينظر: الميداني: ضوابط المعرفة والاستدلال، ص361، 362.

5 - طه عبد الرحمن: في أصول الكلام، ص69.

سورة النحل " وجادلهم بالتي هي أحسن " والمعنية في قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت: 46)¹ والحوار والجدال لهما دلالة واحدة ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس مناقشة بين طرفين أو أطراف يقصد بها تصحيح كلام وإظهار حجة وإثبات حق ودفع شبهة ورد الفاسد من القول والرأي.² هناك تقارب بين الحوار والمناظرة والجدل إلا أنه بينها تفاوت في ترتيب وقوعها حيث تبدأ القضية المطروحة بالاختلاف في الحوار، ثم تتبعه المناظرة ثم الجدل، ويختلف كل من المناظرة والجدل عن الحوار، باعتبارهما علما قائمان بذاتهما أما، الحوار فيعتبر فنا كما سبق وأن أشرنا في تعريفه.

وأما الجدل كما يعرفه التهانوي (ت 1158هـ، 1745م) " الجدل علم يتعرف به كيفية تقرير الحجج"³ والمناظرة هي علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب أو نفي دليله مع الخصم...وموضوع هذا العلم البحث⁴.

2 - 2 - آداب المناظرة: ما دل على معنى المناظرة في القرآن الكريم لفظ "جادلهم"

وأصرح آية تدعوا إلى مناظرة ومحاورة الحوار قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 64) وفي هذا الحوار قاعدة عقلية فاصلة في جمع المختلف أو ردّ الاثنين إلى الواحد فيعتبر المختلف بالمؤتلف الثنائية بالأحادية .

1 - ينظر: ضوابط المعرفة، ص 453.

2 - سناء محمد سليمان فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2013، ص 26، 27.

3 - التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان بيروت، ط1، 1996، ج1، ص553.

4 - نفسه، ج2، ص1952.

- نماذج تطبيقية:

- نموذج 1

ومن لطائف التوجيهات الإلهية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الباب الانصراف عن التعنيف في الرد على أهل الباطل حيث قال: (وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾) (الحج: 68، 69)

وقوله: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (سبا: 24).

مع أن بطلانهم ظاهر وحجتهم داحضة ويلحق بهذا الأصل تجنب أسلوب التحدي والتعسف في الحديث، ويعتمد إيقاع الخصم في الإحراج ولو كانت الحجة بينة والدليل دامغا... فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف، وقد تفحم الخصم ولكنك لا تقنعه، وقد تسكته بالحجة لكنك لا تكسب تسليمه و إذعانه وأسلوب التحدي يمنع التسليم ولو وجدت القناعة العقلية¹.

- نموذج 2

*المحاوره انطلاقا من المشترك بين الطرفين

قال تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: 40)

و تصديق القرآن لما هو مع اليهود "التوراة" هو تصديق على الإجمال، فأهل الكتاب ليسوا كعبدة الأوثان في الكفر بالله، و إنكار الوحي الذي أنزل على المرسلين، إن القرآن يصدقهم فيما يذكرون من إيمان بالله و إثبات للوحي، وتكليف للناس، وحساب على الأعمال، إن تصديقه لما مع بني إسرائيل هو على الإجمال لا على التفصيل. والمجمل الذي سلمه لهم أو وافقهم عليه إنما ذكره ليحاسبهم على ضوئه حسابا عادلا².

1 - صالح بن عبد الله بن حميد: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ص 14. www.saaaid.net

2 - محمد الغزالي: التفسير الموضوعي، ص 12.

– نموذج 3

(فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الشورى: 15)

قال ابن عباس (ت 68هـ، 687م) و مجاهد: الخطاب لليهود¹، وهذه الآيات البينات جاءت لتنظم الحوار مع أهل الكتاب.

فالحق تبارك و تعالى يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يدعوهم إلى الإسلام وأن يستقيم في فكره وعمله كما أمره الله تعالى وينهاه عن اتباع أهوائهم، مع الإعلان عن إيمانه بما أنزل الله تعالى من الكتب على أنبيائه السابقين صلوات الله وسلامه عليهم فلا يجعل مخالفتهم له سببا في رفض الإيمان بما أنزل من كتب على أنبيائهم، وهو يعلنهم بأنه لن يظلم أحدا منهم،

لأنه مأمور بالعدل بينهم، وإذا مضوا في المخالفة و العناد، فلنا أعمالنا ولهم أعمالهم، فكل إنسان مسؤول عن عمله أمام الله تعالى، ولا يبقى بيننا مجال للجدال و الحاجة ما دتم معاندين و مصرين على الكفر بما جئكم به من كتاب²، وقوله أيضا (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 64)

و لقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بهذه الآية الكريمة فدعوا أهل الكتاب إلى عقيدة التوحيد، فتقبلها بعضهم ورفضها البعض الآخر، وكان المسلمون هم الحكام السياسيون، أصحاب السلطان وعلى الرغم من ذلك لم يحاولوا قهر أحد على اعتناق التوحيد، امتثالاً لهذه الآية الكريمة³.

ومن الحكمة وقف الجدال إذا تحول إلى مكابرة⁴، ويوجه ربنا جل جلاله نبيه صلى الله عليه وسلم و الدعاة من أتباعه فيقول (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ

1- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية (د ط)، 2003، ج16، ص13.

2 - أحمد عبد الرحمن: في رحاب السيرة العطرة، افتراءات المضلين في ضوء الحق المبين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1 2010، ص31.

3- نفسه، ص32

4- أحمد عبد الرحمن، في رحاب السيرة العطرة، ص38.

لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران: 20).

(و جادلهم بالتّي هي أحسن) فهذا الخطاب يرسّي مبدأ الأخلاق في مناظرة المخالفين كأساس جوهري تقوم عليه وهو تتمثل في الإحسان ومظاهره: الطريقة التي هي أحسن التي تراعي المجادلة بالحجج و البراهين والرفق واللين و الإنصات و المداراة على وجه ينظر منه أن القصد إثبات الحق وإزهاق الباطل، لا نصرة الرأي وهزيمة الرأي الآخر¹.

و المحاور الجيد هو الذي يستخدم ألطف العبارات و ألينها في حوار مع الآخر لأن ذلك يؤنس الفؤاد، و يرقق القلب و يلين العريكة، ويجعل من محاوره سهلا حتى ينصاع للحق وهو راض².

والمحاورة في دلالتها الواقعية هي محاولة كل من طرفي الحديث أو أحدهما أن يقع الآخر بمنطقة ووجهة رأيه وهي تمثل موقف المحاور ورأيه وحجته.

3 - حجاجية المجادلة

3 - 1 - تعريف الجدل

1 - لغة :يقول: ابن فارس الجيم والدا ل و اللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة أصل³ والجدل شدة القتل وجدلت الحبل أجده جدلا إذا شددت قتله وفتلته فتلا محكما...، الجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها ومقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة⁴.

وله بهذا الاشتقاق معنيان:

-أحدهما أن يكون استعمالك إياه في محافل النظر سببا لقتل خصمك إلى موافقتك، بتوجيه أدلتك وإبطال شبهه.

1 - محمد علي الصابوني صفوة التفاسير، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ج، 2 ص 122.

2 - محمد إبراهيم خاطر: الحوار فريضة شرعية وضرورة بشرية، ص 48.

3 - ابن فارس: مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج، 1، ص 433.

4 - ابن منظور: لسان العرب، ج 11، ص 103.

-أن يكون سمي بذلك لكونه محكما الأدلة والأسئلة والأجوبة مبرما لمُنْتَشِدِهَا بقوانينه المعتمدة.¹

ب - اصطلاحاً:

الديالكتيك وهو الحوار الذي يقوم بين متنازعين حول رأي من الآراء وهو مشتق من اللفظة اليونانية *dialegestia* التي تعني التقاء الناس للمحاورة ولما كان الغاية من الحوار هي الاقتناع، ولا اقتناع بدون برهان ولذلك اعتبر الديالكتيك فن البرهان²، والجدل طريقة في المناقشة والاستدلال³، وعند سقراط مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب.⁴ فالجدل في الأصل فن الحوار والمناقشة⁵، والمجادلة هي البحث عن حجج وبراهين وتقديمها لإثبات المراد والدفاع عما يريده المجادل.⁶ فمن التعريف السابق الذي يعتبر الجدل فن الحوار والمناقشة، فإذا اجتمع اثنان مختلفان في رأي ينشب جدل يحاول كل واحد دحض رأي خصمه فيكون تعارض الطرائح المعروضة محركاً للنقاش والحوار فن التوصل إلى معرفة صحيحة فهو يقتضي التيقن من الرأي للوصول إلى الحقيقة الكاملة.⁷ فالحوار الذي يمكن أن نطلق عليه جدلاً هو الذي يكون فيه الاثنان طالبي حقيقة ومريدي بيان، إما أن يكون أحدهما على يقين من أمره ببرهان قاطع، لا بايهام نفسه ولا بأمر أقنعه به ويكون الآخر متوهماً أنه على حق مثبتاً لنفسه ما لم يحصل له... أو يكون أحدهما موقناً والثاني لم يقف على بيان الحقيقة فهو يطلب الحقيقة والوقوف عليها، فإذا اتفق أن يكون المتناظران هكذا فتلك مناظرة فاضلة حميدة العاقبة يوشك أن تتحل عن خير مضمون أو آخر موفور وهي التي أمر الله بها إذ يقول: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: 125)⁸.

1 - صاحب محي الدين يوسف بن عبد الرحمن الجوزي: الإيضاح لقوانين الاصطلاح في الجدل والمناظرة، تحقيق:

محمود محمد السيد الدغيم، مكتبة المدبولي، القاهرة، ط1، 1995، ص100.

2 - مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1982، ج1، ص59.

3 - ناظم عبد الواحد الجاسور: موسوعة علم السياسة دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص196.

4 - مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1982، ج1، ص59.

5 - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ج1، ص391.

6 - عدنان الرفاعي: الحكمة المطلقة، مركز الفكر للدراسات الإسلامية، www.thekr.net ص215.

7 - جابر عبد العزيز: حقوق الإنسان دراسة مقارنة بين العهود والمواثيق في الطرح الإسلامي وفي الطرح الغربي،

دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية، ط1، 2008، ص55.

8 - ابن حزم الأندلسي: التقريب لحد المنطق والدخول إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: أحمد فريد

المزدي، دار الكتب العلمية بيروت، ص125.

والحوار يقوم بوجود لاعبين متحاورين الأول يقوم بوظيفة الادعاء والآخر ينهض بوظيفة الاعتراض، ثم يتناوبان لاحقا على الوظيفتين يبدأ المدعي الحوار بقضية فيتم الاعتراض عليها¹ وفي هذا التعريف هناك بعد جدلي يقوم على الحوار

- نماذج تطبيقية:

- نموذج 1

قال تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة 142)، هذا سؤال من السفهاء أوردوه على المؤمنين مضمونه: أن القبلة الأولى إن كانت حقا فقد تركتم الحق، وإن كانت باطلا فقد كنتم على باطل، ولفظ الآية، وإن لم يدل على هذا فالسفهاء المجادلون في القبلة قالوه²، وهذا حجاج بالمغالطة لبث التشكيك في أمر ما جاء به الرسول عليه أفضل السلام ولزعزعة الإيمان في صفوف المسلمين وردهم على دينهم، فقد كانت الشبهة مبنية في قوالب حجاجية معتمدة على المغالطة و التشغيب، فصوره كانت كالاتي:

- وقالوا: "لو كان نبيا ما كان يفعل اليوم شيئا وغدا خلافه".

- وقال المشركون: "قد رجع إلى قبلتكم فيوشك أن يرجع إلى دينكم".

- وقال أهل الكتاب: "لو كان نبيا ما فارق قبلة الأنبياء".³

وهذه الصيغة الأخيرة أعظم الصيغ والصور تأثيرا في نفوس المسلمين، فقد كثر الكلام وعظمت المحنة على بعض الناس كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ) (البقرة: 143). وهذه الشبهة، وإن أوقعت في ضعف الإيمان من المسلمين وقعا بث فيهم من التشكيك، فإن تأثيرها

على أمر الدعوة أكبر وأشد وقعا ولاسيما من أهل الكتابين، لأن فيها تغييرا لقبلة أنبيائهم، وبالأخص إبراهيم عليه السلام، فهو يلقي قبولا لدى جميع الأديان ومن يقرون بـ"الحنيفية"

1 - طارق مالكي: استدلال في المنطق وتطبيقاته في اللسانيات، ص165.

2 - ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1425هـ، ج4، ص 1582.

3 - مرجع نفسه: ج4، ص1582.

من العرب. وقد جاءت الحجج المضادة ممهدة في تشكيل حجاجي تقويمي راصدا نوايا أهل الكتاب ومستبقا وقوعها بحجج مبطللة لحججهم المغالطة وفق تدرج وترتيب كالاتي :

ح1 – إن أهل الكتاب لا يحبون الخير للمسلمين في قوله تعالى: (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(البقرة: 105) .

ح2 – ذكر النسخ، وأنه إذا نسخ شيئا أتى بمثله أو بخير منه قال تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(البقرة: 106).

ح3 – القدرة: أنه لا يعجزه شيء، قال تعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)(البقرة: 107).

ح4 – طلب التسليم باستعمال حجاجية السؤال ، قال تعالى: (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)(البقرة: 108) .

ح5 – التذكير بكذب وبهتان أهل الكتاب، قال تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة: 111).

ح6 – اختلاف أهل الكتاب فيما بينهم، وهذا فيه من الرد على قولهم لو كان نبيا ما كان يفعل اليوم شيئا وغدا خلافه بالمراعاة مع الآية التي قبله، قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ

كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)(البقرة: 113) .

ح7 - إن الله يملك المشرق والمغرب، قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: 115).

يقول ابن القيم في هذا كلاما جميلا، تترافف فيه الحجج وصولا إلى النتيجة التي أسماها "مرسوما" يقعد لتهيئة النفوس وتقبل تغيير القبلية وتأمل حكمة العزيز الحكيم، ولطفه وإرشاده في هذه القصة لما علم أن هذا التحويل أمر خطير يتخذه أهل الكتاب مدخلا لمغالطة وتشكيك المسلمين في دينهم¹، فقد استبقهم بأن قدم حجاجا تقويميا يدحض مغالطات أهل الكتاب، وفي الوقت نفسه حجاجا توجيهيا للمسلمين يأخذ بأيديهم للتسليم و تكذيب هذه الدعاوي.

ويلاحظ أن هذه الحجج شكلت سلما حجاجيا أفضت إلى الإقناع بتغيير القبلية ودحضت شبه أهل الكتاب، فكان الحوار هنا ذا أبعاد عديدة، وتوجهات عدة فقد أعاد الله عز وجل مسار الدعوة إلى طريقها بعد هذا الأمر الكبير الجلل، وهذا بتقريب وجهات النظر.

- نموذج 2

إن البعد الحجاجي في الحوار يقوم على نسقه الاستدلالي ومثاله قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (المائدة: 18). وذلك ردا على اليهود بأنهم أبناء الله.

- البنون لا يعذبون.

- اليهود يعذبون.

- اليهود ليسوا أبناء الله. فهذا النسق يقوم بدحض الدعوى من الأساس، ويلزم منه ضرورة نفي البنية.

- وكذلك في قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الجمعة: 06).

كل ولي يتمنى لقاء وليه.

- اليهودي لا يتمنى لقاء الله.

- فلزم منه أن اليهودي ليس ولي الله.

1 - ينظر: ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، ج4، ص1583.

لأن الولي يتمنى لقاء وليه وهذا يتحقق بالموت الذي هو سبب اللقاء، فلزم ضرورة أنهم ليسوا أولياء الله.

ومن خلال قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت: 46) نستخلص الفوائد التالية:¹

أولاً: استعمال الأدب الحسن والخلق الرفيع قولاً وفعلًا أثناء المناظرة لأن ذلك أدعى للتأثير والقبول والإقناع.

ثانياً: الإعراض عن مجادلة المعاند الذي لا يريد الوصول إلى الحق.

ثالثاً: رتبة المباهلة في: (آل عمران: 61).

وهذه الرتبة من الحوار مع أهل الكتاب، تكون لمن يجادل بالباطل.

أو اتضح له الحق وقامت عليه الحجة وأعرض عنه، وفي هذا يقول ابن القيم: "يجوز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بل باستحباب ذلك بل بوجوبه - إذا ظهرت مصلحته من إسلام

من يرجي إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة فليول ذلك إلى أهله وليخل بين المطي وحاديها والقوس وباريها وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة.² فما هي المباهلة وأين يكمن بعدها الحجاجي ..؟

4 - حجاجية المباهلة

4 - 1 - تعريف المباهلة:

1 - لغة: من بهل الباء والهاء واللام أصول ثلاثة أحدها: التخلية، والثاني، جنس من الدعاء والثالث قلة الماء، أما الثاني فالابتهاال والتضرع في الدعاء،³ ويقول ابن منظور التبهل العناء بالطلب وأبهل الرجل تركه، ويقال بهلته و أبهلته إذا خليته وإرادته، و أبهل الناقة أهملها والبهل اللعن، والابتهاال التضرع والاجتهاد في الدعاء.⁴

1 - عبد الرحيم بن صمايل السلمي الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه، مرجع سابق، ص19

2 - ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27 1994 ج3، ص557.

3 - ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، سوريا ج1، ص289.

4 - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ج11، ص71

والابتهال أن تمد يديك جميعاً وأصله التضرع والمبالغة في السؤال.¹

ونبتهل أي نتداعى باللعن، يقال عليه بهلة الله وبُهلته أي لعنته.² والابتهال افتعال مشتق من البهل... استعمل مجازاً مشهوراً في مطلق الدعاء، لأن الداعي باللعن يجتهد في دعائه.³

ب - اصطلاحاً

المباهلة: هي الملاعنة وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا لعنة الله على الظالم منا.⁴

الدعاء على الكاذب ببعده عن رحمة الله.⁵

إذا تناظر الطرفان ووضح الحق وأقيمت الحجة، وأصر المبطل على باطله، وعاند وكابر فإنه يُكف عن مناظرته وهذا ما جاء في القرآن الكريم. وقد أمر الله عز وجل بجidal أهل الكتاب بالتتي هي أحسن في السورة المكية والمدنية وأمرهم أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة.⁶

- نماذج تطبيقية

- نموذج 1

قال تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران: 61).

فقد ناظر النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران وبين لهم بالدلائل والبراهين بطلان ما يعتقدونه في المسيح عيسى عليه السلام وهذا في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران: 59)، فهذا التمثيل حجة دامغة تدحض حججهم كون عيسى إلهاً لأنه ولد من غير أب، فأدم كذلك لم يخلق من غير أب فقط بل ومن غير أم أيضاً وسيكون في هذه الحالة أولى بالإلوهية من عيسى عليه

1 - ابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: طاهر أحمد زاوي ومحمود أحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1997، ج1، ص439.

2 - ابن قتيبة: غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص106.

3 - محمد الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير ج3، ص113، 114.

4 - ابن الأثير: مرجع سابق، ج1، ص439.

5 - حسن مصطفىاوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج2، ص376، <http://www.masaha.org>

6 - ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994، ج3، ص557.

السلام الذي ولد من غير أم فقط، وعندما وصلت المناظرة إلى طريق مسدود لا يفيد الحوار، وإلى حالة لا ينجح فيها القول ولا تنفع إقامة الحجة لم يبق إلا المباهلة.¹

يقول الطبري: "فلما فصل جلّ ثناؤه بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل أمره إن هم تولوا عما دعاهم إليه من الإقرار بوحدانية الله وأنه لا ولد له ولا صاحبة، وأن عيسى عبده ورسوله، ولما أبوا إلا الجدل والخصومة دعاهم إلى الملاعة، فتراجع الوفد ودعا إلى المصالحة."²

وبعد التمعن في حجاجية محاوره المباهلة نجد تنوعا في وسائل الإقناع والبراهين والحجج وجل أشكال الحجاج:

- الحوار كان بشكل مناظرة بين النبي صلى الله عليه وسلم ونصارى نجران، ثم تطورت إلى جدال اصطبع بتعنت ومكابرة النصارى، رغم اتضاح الدليل والحجة .

- والحجاج كان في شكل استفهام بقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ﴿٥٦﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آل عمران: 65: 66).

- حجاجية القصص قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران: 62)، القصص الحق أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا شك فيه.³

- حجاجية التمثيل في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران: 59).

- أما التكرار فهو واضح جلي بإعادة لازمة النداء والاستفهام والروابط الحجاجية ومثاله قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) ﴿٥٦﴾ يَا أَهْلَ

1 - ينظر: أحمد علي عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1 2004.

2 - ينظر: الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج6، ص478.

3 - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الصابوني، المملكة العربية السعودية، ج1، ص132.

الْكِتَابِ لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ (آل عمران: 70، 71).

فإن تنوع أساليب الحجاج وتقديم الأدلة والحجج كان رداً على شبه ومغالطات أهل الكتاب في تأليههم لعيسى عليه السلام وعند إصرارهم ومكابرتهم ومجادلتهم أدى هذا إلى أن تتحى المناظرة إلى المباهلة لما لهذه الأخيرة من قيمة حجاجية كبيرة في إثبات صحة دعوى أحد من الطرفين المعتقد أو المنتقد.

— نموذج 2

أما عن اليهود فهي في قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾) (البقرة: 94، 96).

وقوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (الجمعة: 6، 7).

يقول ابن كثير (ت 747 هـ، 1373 م) في الآيات الأولى وسميت هذه المباهلة تمنياً لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ولا سيما إذا كان إذا كان في ذلك حجة له فيها بيان حقه وظهوره وكانت المباهلة بالموت، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت.¹

المباهلة أن يجتمع اليهود والمسلمون ثم يدعون الله أن يميت الكاذب: "قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين" وقرر أنهم لن يتمنوه

1 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999، ج1، ص334.

أبدا وهذا ما حدث فقد نكصوا عن المباهلة لعلمهم أنهم كاذبون فيما يدعون وهكذا يمضي السياق في هذه المواجهة وهذا الكشف وهذا التوجيه ومن شأن هذه الخطة أن تضعف أو تبطل كيد اليهود في وسط الصف المسلم وأن تكشف دسائسهم وأحاييلهم وأن تدرك الجماعة المسلمة طريقة اليهود في العمل والكيد والادعاء¹ كانوا يطلقونها دعوة عريضة إنهم شعب الله المختار، إنهم وحدهم المهتدون، إنهم وحدهم الفائزون في الآخرة، أنه ليس لغيرهم من الأمم في الآخرة عند الله نصيب.

وهذه الدعوة تتضمن أن المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا نصيب لهم في الآخرة والهدف الأول هو زعزعة ثقتهم بدينهم وبوعود رسولهم ووعود القرآن لهم... فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو اليهود إلى المباهلة أي أن يقف الفريقان ويدعوا الله بهلاك الكاذب منهما. ويقرر الله أن اليهود لن يقبلوا المباهلة ولن يطلبوا الموت لأنهم يعلمون أنهم كاذبون ويخشون أن يستجيب فيأخذهم، وهم يعلمون أن ما قدموه من عمل لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة، وعندئذ يكونون قد خسروا الدنيا بالموت الذي طلبوه، وخسروا الآخرة بالعمل السيئ الذي قدموه.²

1 - السيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص83.

2 - المرجع السابق، ص92.

الفصل الثاني

التشكيل الحجاجي وآلياته الأسلوبية في خطابات أهل الكتاب.

أولاً: الحجاج مفاهيم وتشكيل.

ثانياً: الآليات الأسلوبية في التشكيل الحجاجي في خطابات أهل الكتاب.

أولاً: الحجاج مفاهيم وتشكيل

1/ تعريف الحجاج.

2/ دلالة الحجاج في القرآن الكريم

3/ أصناف الحجاج

4/ أنواع الحجاج

5/ تقنيات الحجاج

أولاً: الحجاج مفاهيم وتشكيل

1-1- تعريف الحجاج:

أ - لغة:

جاء في مادة (ح ج ج) في اللسان: "الحجُّ: القصد. حجَّ إلينا فلان أي قَدِمَ، وحجه يحُجُّه حجاً: قصده، وحجبت فلانا واعتمدته أي قصدته...يقال حاجبته أحاجه حجاجاً ومُحاجةً حتى حجبتَه أي غلبته بالحجج التي أدليت بها...والحجة: البرهان، وقيل الحُجَّة ما دُفِعَ به الخصم" وقال الأزهري: "الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل مُحجاج أي جدل والتَّحاج التَّخاصم، وجمع الحجة حُجَج وحِجاج، وحاجه مُحاجة وحجاجا: نازعة الحجة"¹

والحجة: ما دُلَّ به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد². وعرف الكفوي (ت 1094هـ - 1683م) الحجة فقال: "الحجة بالضم البرهان...وما ثُبِتَ به الدعوى من حيث إفادته للبيان يسمى بينة، ومن حيث الغلبة به على الخصم يسمى الحجة"³. هنا قصر الكفوي الحجة على ما يغلب به لا لجملة ما يثبت به الدعوى، وهذا المعنى ممكن مرتبط بالجدل أكثر من الحجاج. وما نجده قريباً للمعنى الاصطلاحي للحجاج هو التعريف اللغوي لأبي هلال العسكري للحجة حيث يقول: "هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سننٍ مستقيم، وهي مأخوذة من المحجة، وهي الطريق المستقيم. وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها، وإنما تتفصل الحجة من البرهان لأن الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد، حجَّ يحج إذا استقام في قصده"⁴.

1 - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط1، د س ن، ج2، ص226.

2 - الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، التحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، ص 112.

3 - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 406.

4 - أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص70.

فالمعنى اللغوي لمادة (ح ج ج) أي قصد، ومنها أُشتقت الحجة، وقد تعني البرهان أو الدليل، وخصّصت دلالتها عند الكفوي فيما يعني دحض الخصم والتغلب عليه. وقد اختص اللسان العربي بلفظ واحد للدلالة على معنى القصد ومعنى الاستدلال معا، وهو فعل حجّ الذي يفيد قصد في قولنا حج بيت الحرام كما يفيد غلبة الحجة في قولنا: حاجّه فحجّه¹.

1 - 2 - اصطلاحا:

من الصعب إعطاء تعريف جامع مانع للحجاج بسبب تشعب الاتجاهات فيه واختلاف النظريات في هذا المجال، وتتوعد وجهات النظر، لكن في هذا الصدد سنحتكم إلى تحديد مفهومه من خلال معيار الزمن، أي من خلال ما قبل ظهور اللسانيات وما بعدها. فالحجاج مفهوم قديم حديث في آن واحد.²

أ- ما قبل الدرس اللساني

• عند الغرب:

أهم من خاض في الدرس الحجاجي الغربي قبل ظهور اللسانيات هو أرسطو، و هذا تجلّى من خلال ثلاثة كتب من الأرغانون هي: "المواضع" و "التبكيّات السفسطائية" و "الخطابة"، فاهتم في كتابه "المواضع" بدراسة الجدل، وهو عنده في المسائل الفكرية، وعرض للحجاج الجدلي، و في " التبكيّات" كشف عن قواعد الجدل السفسطائي أما في كتاب "الخطابة" فعرض فيه للحجاج الخطابي، و هو الحجاج الموجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة و مقامات خاصة و الذي يهدف إلى استمالة الجمهور و كسب تأييده و موافقته حتى لو كان ذلك بمغالطته و إيهامه و خداعه، و جعل كتابه هذا مخصص لبيان وسائل الإقناع و مسالكه المختلفة³، وعرّف الخطابة فيه (الريطورية) بأنها "قوة تتكلف

1 - ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص226.

2 - كريستيان بلانتان: الحجاج، ترجمة: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس، 2010، ص7.

3 - ينظر: هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ص 92، 93.

الإقناع الممكن في كل واحدة من الأمور المفردة"¹ و حدد وظيفتها بأنها ليست الإقناع، ولكن "أن تعرف المقنعات في كل أمر من الأمور"²، فجعل وظيفة الخطابة الإقناع وليس التأثير، و مجالها المحتمل و المتوقع و ليس الحقيقة³.

فالحجاج الأرسطي هو حجاج خطابي قوامه البلاغة، وعدته المنطق، وهدفه الإقناع، و منطلقه اللغة، وبهذا المفهوم يكون أرسطو أول من أرسى معالم الحجاج في الدرس الغربي.

• عند العرب

وإذا ما نظرنا إلى مفهوم الحجاج عند العرب فإننا نجد مصطلح "الحجاج" في تاريخ العلوم الإسلامية، هو عنوان على المحاوراة والمناقشة والمناظرة مما كان سببا في إثراء تلك العلوم، والدفع بها إلى التوسع والتعمق، بل إن هذا المصطلح بسبب ما اكتسبه من قيمة وظيفية عالية قد انتهى إلى أن يصبح علما مستقلا بذاته، له قواعده ومباحثه، وهو مستعمل ضمن دائرة تضم عدة مفردات كأنها مترادفات، كالجدل والخلاف والمناظرة والمحاورة⁴.

و الجدل عند ابن حزم هو إخبار كل واحد من المختلفين بحجته أو بما يُقدر أنه حجته، وقد يكون كلاهما مبطلا وقد يكون أحدهما محقا والآخر مبطلا إما في لفظه وإما في مراده أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا معا محقين في ألفاظهما ومعانيهما⁵ وإذا ما ذهبنا إلى الجاحظ فإن الحجاج عنده يقوم على وظيفتين، وهذا يتجلى في تعريف البيان بقوله: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجب

1 - أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، 1979، ص9.

2 - المرجع نفسه، ص 8.

3 - أمال يوسف المغامسي: الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية) (الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2016، ص 49.

4 - لمهابة محفوظ ميارة: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد 81، الجزء الثالث، ص510.

5 - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، ج1، ص 45.

دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع¹ فمدار المشروع البلاغي عند الجاحظ يقوم على الإفهام و الإقناع مستندا إلى التأثير البلاغي.

أما تعريف الحجاج عند أبي الوليد الباجي (ت 474هـ، 1082م) فهو: "فهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنًا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت الحجة ولا اتضحت المحجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من السقيم"².

فالحجاج هنا هو علم قائم بمعرفة صارمة دقيقة بقواعد الاستدلال وطرائق الاحتجاج وضروب الحجج، باعتبار الحجة هي الدليل والبرهان كما سبق وأن أشرنا وبهذا المفهوم تتحدد معالم الحجاج باعتباره علما وقوامه هو الاستدلال، فالحجاج هو علم استدلالى يُعتمد في الجدل.

ب/ عند اللسانيين:

• عند الغرب:

ويظهر جليا هذا المفهوم في محاولة بيرلمان لتجديد الفكر الأرسطي في وقت استقرت البلاغة في صيغتها المحسناتية الشعرية، محاولة لإعادة البلاغة إلى صيغتها الحجاجية وحيث كانت المزيينات الجمالية مجرد روافد لغوية ودعامات تسعى إلى بعث الاقتناع

1 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968، ص 54.

2 - أبو الوليد الباجي: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001، ص8.

والفعل، لا إلى الاستمتاع الجمالي غير العائى بالتأثير وتعديل الرأي والسلوك وهي محاولة لربط البلاغة المعاصرة بأصولها الأرسطية.¹

يعرف المؤلفان الحجاج بقولهما: "هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم²

ويعرفه كل من إيميرن (Emmeren) وجروتندورست (Grootendorst) "الحجاج نشاط اجتماعي وفكري وتلفظي يهدف إلى تبرير أو تفنيد رأي ما، ويتكون من مجموعة من الألفاظ، ويهدف إلى الحصول على موافقة المتلقي.³

• عند العرب:

يقول طه عبد الرحمن: "إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها،⁴ وهذا التعريف جامع للمحددات الخمسة للحجاج كما حددها أولفيه ربول (Olivier Reboul): 1/ يتوجه إلى المستمع 2/ يعبر عنه بلغة طبيعية 3/ مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية 4/ لا يفتقر تقدمه (تتاميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة، 5/ ليست نتائجه لخلصاته ملزمة⁵، أما محمد الولي يعرفه بقوله: "هو توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية"⁶

1 - باسم خيرى خضير: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي عليه السلام مقارنة تداولية، العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة ط1. 2017 ص 96.

2 - عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتينيكاه ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس ص 299.

3 - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2011، ص 94.

4 - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 226.

5 - محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2012 ص 220.

6 - محمد الولي: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، ص 11.

2 - دلالة الحجاج في القرآن الكريم:

وردت مادة (ح ج ج) و مشتقاتها في ثلاثة وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم،¹ وجاء في التحرير والتنوير في تفسير الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقرة: 258)

معنى (حاج) خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يُعرف ل(حاج) في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها. ومن العجب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق لدعوى، مع أن حاج لا يستعمل غالباً إلا في معنى المخاصمة.²

وقال في تفسيره للجدل في قوله تعالى: (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (هود: 32) والمجادلة المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه.³

فالمحاجة في استعمال القرآن الكريم تدل على المخالفة الناشئة عن الخصومة. بقصد العناد ... وأما الحجاج وهو في القرآن الكريم مفهوم مُعبر عنه بأشكال من العبارات والأساليب تروم الحوار، وتهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة. وجاءت دلالتها تتمحور حول هذه المعاني: (الجدل، المخاصمة، المراء، التهاور، المنازعة، الخلاف).⁴

وقد ورد الجدل (الحجاج) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

1 - لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد (71)، جزء 3 ص 510

2 - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان ط 1، 2000، ج 2 ص 46.

3 - نفسه، ج 1 ص 250

4 - ينظر: لمهابة محفوظ ميارة، مرجع سابق، ص 532، 532.

أ - ما ردّ الله به على الخصوم من الحجج والبراهين، وما ساقه من أدلة لتثبيت العقائد، وتقرير قواعد الملة مما جاء على السنة رسله وأنبيائه، وما ألهمه الله عباده الصالحين من قول بالحق ودفع للباطل، وهذا الجدل بالحق...، وهذا النوع من الجدل أو الحجاج القرآني وإن كان فيه معنى الإلزام أو الإفحام إلا أنه مشتمل على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والصواب.

ب - ما ورد في القرآن بطريق الحوار، وقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر إلى العظة والاعتبار، أو الترجي والدعاء ومن هذا القبيل جدل إبراهيم عليه السلام ربه حيث قال (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة: 260)، وهكذا جدال الملائكة وجدال خوله بنت ثعلبة التي حكى الله قصتها في سورة (المجادلة)، ونحو ذلك مما يرجع إلى هذا المعنى.

ج - ما يأتي على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة التي حكاها القرآن الكريم وبين بطلانها، وما تتطوي عليه من مفسد وهذا يدخل تحت عنوان الجدل بالباطل.

كما قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) (غافر: 5).¹

هذه صور الحجاج التي سيأتي بيانها في الفصل التطبيقي لتوضيح طرق وسبل الحجاج فيها، وتوضيح بعض الجوانب المصطلحية للصيقة بالحجاج، التي تتمظهر في طرق سير الحجاج وتراذفاته من حوار ومناظرة وجدل.

1 - بنظر: زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، ط 3،

3 - أصناف الحجج:

يصنف الحجج باعتبار حجج المرسل إليه من عدمه سواء الحجج السابق أو المتوقع، فقد يكتفي المرسل بإنتاج خطابه دون تفكير فيما لدى المرسل إليه من حجج قد يواجهه بها، أو بأن يضع تلك الحجج المفترضة أو المتوقعة في حسابه فتصبح أساسا يبنى عليه الخطاب¹ ومن هذا المنطلق صنف طه عبد الرحمن الحجج إلى ثلاثة وهي:

1/ الحجج التجريدي: وهو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان علما بأن البرهان هو الاستدلال الذي يُعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف مضامينها واستعمالاتها².

2/ الحجج التوجيهي: ويقصد به أن المحاجج يوجه خطابا إلى المتلقي داعما إياه بمجموعة من الحجج المتمثلة بالأفعال الكلامية التوجيهية، ويصب فيه المحاجج حججه على الإلقاء ولا يهتم برود أفعال المتلقي، كما أنه لا يجرّد من ذاته ذاتا أخرى تمثل المتلقي في محاولة منه لتوقع اعتراضاته واستباق حججه ولا يهتم مقدار إسهامه في إثراء الخطاب وتوفير الوقت والنظر بعين الناقد البصير إذ يكتفي بمجرد إيصال حججه إليه³.

فالمقصود بالحجج التوجيهي هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هنا فعل إيصال المستدل على القصود والأفعال الذاتية متناسيا الجانب العلاقي من الاستدلال⁴.

3 / الحجج التقويمي: ويقصد به أن يثبت المحاجج قضيته ودعواه بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرّد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، وهذا يعني أن المحاجج لا يقف عند مجرد إلقاء الخطاب وتوجيه الحجج بل يتعدى ذلك إلى النظر في

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط1، 2004، ص470.

2 - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص226.

3 - ينظر المرجع السابق، ص227.

4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: مرجع سابق، ص470.

فعل التلقي مستبقا استفسارات المتلقي واعتراضاته ومستحضرا الأجوبة على اعتراضاته ليحقق بذلك هدفه من الحجاج وهو إقناع المتلقي¹، وهنا يجب أن يراعي المرسل في خطابه الحجاجي أمرين هما:

- الهدف الذي يريد تحقيقه وهو الإقناع.

- الحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه التي يضعها في الحسبان أثناء بناء خطابه ويمحصها عند استحضار حججه، فيفندھا ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه، فلا يتمسك بها إلا إذا أدرك أنها تؤول بخطابه إلى القبول والتسليم². والعمليّة التي تكتنف هذا الصنف من الحجاج هي ما يسميه إيميرن وجروتندورست بالحوار الضمني وغرضه درء الشك المتوقع من المرسل إليه³.

4 - أنواع الحجاج

1- تصنيف بحسب الحجة

إن للحجاج أشكالا مختلفة تبعا لتنوع الحجج المعتمدة في الإقناع وهي التي ترهن بناءه السليم ليحقق أغراضه التداولية ولعل أهم أنواع الحجاج⁴:

أ / الحجاج بالمغالطة:

وهو حجاج يقوم على إحداث اللبس في الألفاظ والمقدمات ليضطرب فهم المحاور مثل المصادرة على المطلوب والأسئلة المتعددة، وسحب صفة الكل على الأجزاء⁵.

1 - ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 228.

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: مرجع سابق، ص 473.

3 - نفسه ص 474.

4 - نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 132.

5 - ينظر: نفسه، ص 132.

والمغالطة هي أنماط من الحجج الباطلة التي تتخذ مظهر الحجج الصحيحة، أو هي أنماط شائعة من الحجج الباطلة التي يمكن كشفها في عملية تقييم الاستدلال غير الصوري¹.

ويعرف العمري المغالطة بأنها إيهام الصدق لا على طريق الاحتمال، كذب لا تقام عليه قرائن تحيده وتنتفيه، غرضه الإيقاع عمداً في الخطأ، "خدعة" أو خديعة² وهي كثيراً ما تظهر على وجه المجاز والاستعارة وهي تنتمي إلى معجم لفظي مثل التوهم، الخديعة، التعمية، إخفاء المقصود وهي ألفاظ أستعملت في الحقل البلاغي لشرح مدى تأثير الانزياح في اللغة على المتلقي³.

ب/ الحجاج بالسلطة:

وهو حجاج ضروري في المواقف التي لا يمكن فيها لغير الضالع في الاختصاص أن يدرك الأدلة على وجهها⁴، والاستدلال في الحجة بالسلطة ليس استنباطياً ولا استقرائياً وإنما هو استدلال محتمل معقول، يستمد أهميته من الشخص الذي صاغه⁵.

ج/ الحجاج بالقوة:

هو احتجاج يسعى صاحبه إلى حمل المخاطب على سلوك معين أو على عمل معين سعياً يستند إلى التهديد، منه يستمد الحجة وعلى أساسه يسأل الاقتناع الذي يتخذ في نهاية الأمر شكل الاستسلام⁶.

1 - مصطفى عادل: المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخبرنا اليومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2007، ص17.

2 - محمد العمري المغالطة في فضاء الاحتمال، سياقات اللغة والدراسات البينية، ع5، أبريل 2017، ص2.

3 - ينظر: نفسه، ن ص.

4 - نعمان بوقرة: مرجع سابق، ص132.

5 - ينظر: محمد النويري: الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمودي، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس، ص425، 422.

6 - نفسه، ص426.

د/ المحاجة الجماهيرية:

هي محاجة ينجزها المتكلم "أ" أمام جمهور "ب" أو جماعة بغية إقناعهم بفكرة ما، وإثارة حماسهم إليها وتحقيق اعتناقهم لها، وذلك غاية ما يسعى إليه المحاجج فعندما يستجيب الجمهور إلى فكرة المتكلم أو الخطيب متحمسا لها تحقق المحاجة هدفها وبقدر ما يتحمس الناس إلى النتيجة التي وصل إليها الباث يتزايد توفيق المحاجة ويتعاضم نجاحها¹

هـ/ المحاجة بالتجهيل:

يقوم هذا النوع من الحجاج في تعريفه على إفحام المخاطب انطلاقا من تعجيزه على أن يدلي بما ينفي الحجة المقدمة إليه.²

2- بحسب طبيعة الخطاب:

أهم أنواع الحجاج المتداول و المشهور انطلاقا من طبيعة الخطاب المكون لها وهي كالتالي:

أ- الحجاج البلاغي:

يقول ابن الأثير: "مدار البلاغة كلها استدراج الخصم إلى الإذعان و التسليم انتفاعا بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة والمعاني اللطيفة"³، فالواقع إنّ الفعالية الحجاجية كفعالية خطابية لا تظهر، وتنسجم لغويا إلا بمهارات أسلوبية و تأثيرات بلاغية فهذه العوامل تخضع للشروط الإبداعية الابتكارية كمتطلبات جمالية وأبسة يتلبسها مسار الحجاج وعلاقاته الداخلية

1 - ينظر: نفسه، ص 429، 430.

2 - محمد النويري: الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمودي، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية تونس، ص 433.

3 - ابن الاثير: المثل السائر في آدب الكتاب والشاعر تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية، بيروت 1995، ج2 ص 64.

فأساليب ومهارات البيان والتبيين تقوي الحجج وتزيد من فعاليتها أي تعمل لصالح التأثير والإقناع¹.

فالبلاغة هي الإبلاغ المفهم المؤثر إلهاماً وتأثيراً من شأنهما تحقيق الاقتناع والاستمالة² ومن هذا يتضح أن الحجاج البلاغي هو الذي ينطلق من البلاغة و أدواتها و يوظفها للتأثير و إقناع المتلقي واستمالته .

فالبلاغة آلية من آليات الحجاج و ذلك لاعتمادها على الاستمالة و التأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معا حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب.³

ب - الحجاج الفلسفي:

إن القول الفلسفي يشكل حقلاً و إنجازاً خاصاً للفعالية الحجاجية ولا يتعلق هنا بمقارنة فلسفية خارجية للحجاج أو للخاصية الاستدلالية بل ببعد جوهري في الفلسفة سواء اعتبرناها معرفة أم تفكيراً وعليه فمن المحال تصور مذهب أو تحليل فلسفي معدم الحجج والحجاج، إن التفكير الفلسفي هو تفكير حجاجي بامتياز⁴

وينطلق هذا النوع من الحجاج في التمييز بين الاستدلال التحليلي والاستدلال الديالكتيكي، فالأول مرتبط بالصواب والمنطق، وأما الآخر فينطلق من المقدمات التي تتشكل من الآراء المقبولة عموماً والقابلة للصواب.⁵

1 - حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر العدد 1 المجلد 30 سبتمبر 2001 ص 106.

2 - جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، 2000، ص 129.

3 - هاجر مدقن: آليات تشكل الخطاب الحجاجي ما بين نظرية البيان ونظرية البرهان، الأثر مجلة الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الخامس، مارس، 2006، ص 191.

4 - حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر العدد 1، المجلد 30 سبتمبر 2001، ص 115.

5 - باسم خيرى خضير: مرجع سابق، ص 100.

لقد ساهم البعد الحجاجي في تطور الخطاب الفلسفي من خلال الحجة وهدم الحجة المضادة¹، وبهذه الثنائية التضادية تحشد القرائن وتتركب الكفاءة المعرفية للمرسل حتى بات يحتاج ضد هذه النظرية أو تلك باستقبال فعال من خلال تقليب القضية على وجوهها وعرضها على مبادئ العقل ومقارنتها مع قضايا سابقة وتمريرها في مسلك القيم²، فالحجاج الفلسفي يقوم على الإقناع والاستدلال والقياس.

وللحجاج بعد جوهري في الفلسفة وهو آلية من إجراءاتها، وتقاس صلاحية الحجاج الفلسفي بمعايير خارجية القوة والضعف والكفاءة وعدمها، النجاح أو الفشل في الإقناع وغايته التأثير والتقبل.³

ج - الحجاج التداولي:

ربط الاتجاه التداولي الحجاج بنظرية أفعال الكلام والاستلزام التخاطبي، فالنص الأدبي يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية وتغيير نظام معتقداته أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية افعل أو لا تفعل.⁴

فالخطاب الحجاج يتبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية وبالتالي فقيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة، هكذا ينتمي النص الحجاجي إلى مجال التداوليات⁵.

فالحجاج يعد أهم أركان البحث التداولي⁶، فهو لا ينفك عن التداولية باعتباره خطابا تواصليا موجها يرمي إلى التأثير في المتلقي وإقناعه من خلال التفاعل معه ضمن موقف تواصل محدد ويظهر الجانب التداولي للحجاج في حيز الأفعال الكلامية فيكون ناتجه فعل

1 - عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجائية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف الجزائر، ط، 2009، ص 125.

2 - مثني كاظم صادق أسلوبية الحجاج التداولي تنظير وتطبيق على السور المكية منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2015 ص 53.

3 - هاجر مدقن: آليات تشكل الخطاب الحجاجي ص 191.

4 - جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 52.

5 - حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 100.

6 - صابر حباشة: التداولية والحجاج، ص 15.

كلامي مؤلف من فعل لفظي وفعل إنجازي وفعل تأثيري¹ فالمنجز الكلامي له بعد حجاجي يظهر في فعل التأثير.

التداولية تنطلق من هدف أساسي هو استثمار الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة وجعل المعني بها يعيها ويتحرك في إطار إنجازها، فالتداولية في صميمها إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما.²

3- بحسب النموذج التواصلية:

وهناك أنواع أخرى للحجاج قسمها الدكتور طه عبد الرحمن انطلاقاً من الوظيفة التواصلية أو الاتصالية للغة وهي ثلاثة أنواع كالتالي:

أ- الحجاج الوصلي:

وفيه يعتبر الحجاج بنية دلالية مجردة خال من آثار المتكلم والمستمع، يقوم على الخصائص الترتيبية والصورية.

ب - الحجاج الإيصالي:

وفيه يعتبر الحجاج بنية دلالية موجهة يهتم بدور المتكلم في الفعالية الخطابية فيركز على القصديّة من جهة ارتباطها باللغة

ج - الحجاج الاتصالي:

وفيه يعتبر الحجاج بنية تداولية، يجتمع فيها التوجيه المقترن بالأخلاق، وفيه اهتمام بدور كل من المتكلم والمستمع معاً، وفيه تركيز على علاقة التفاعل الخطابي.³

1 - أمال يوسف المغامسي: الحجاج في الحديث النبوي، ص 137.

2 - ينظر: محمد سالم محمد الأمين طلبية: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 175، 176.

3 - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 171، 172.

وهذا الجدول الآتي يوضح نوع الحجاج والصنف الذي يرتبط به بالإضافة إلى النماذج التواصلية التي يقوم عليها¹

أوصاف الحجة			
أصناف الحجة	خصائص النماذج التواصلية للحجاج	نقد النظريات التي تستند إليها النماذج التواصلية للحجاج	نماذج التواصل
الحجة المجردة	1- تجريد الحجاج من الفعالية الخطابية: أ - محو آثار الوظائف الخطابية ب - إظهار المضمرات 2 - إهمال قصدية المستمع.	نظرية الإعلام 1- فصل المضمون المنقول عن الصورة المنقول بها. 2 - إنزال المتكلم والمستمع منزلة عاملين تقنيين. 3 - الاقتصار على البنية المنطقية للمنقول	
الحجة الموجهة	1- اعتبار قصدية المستمع: أ - ارتباط القصدية باللغة. ب - طبقات القصدية، 2 - إهمال قصدية المستمع.	نظرية الأفعال اللغوية 1 - رد وظائف الحجة إلى وظائف الجملة 2 - إهمال الخصوصية التنظيمية للفعل الحجاجي .	
الحجة المقومة	1 - التفاعل الخطابى تزواج في الذات 1 - التفاعل الخطابى ممارسة حية: أ - تأخذ بالمجاز فصلا عن الحقيقة ب - تأخذ بالأخلاق والحكم فضلا عن الأفعال والأسباب	نظرية الحوار إهمال الجانب الخلقى من الجانب الحجاجي .	نماذج الاتصال

5 - تقنيات الحجاج

يقوم الحجاج على التأثير لاستمالة المتلقي وإقناعه ودفعه لقبول قضية معينة ومن ثمة يُبنى الخطاب الحجاجي على مجموعة من التقنيات المخصصة يوظفها المحاجج بما يتناسب مع السياق العام لخطابه لتصبح قوالب مُنظمة للحجج تساعد المرسل

1 - طه عبد الرحمان: التواصل الحجاج، سلسلة المعارف الجديدة، الرباط، 1994 ص24.

على ترتيب حججه بشكل منطقي يقبلها المتلقي ويذعن إليه¹، ويعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره فهي مطواعة حسب استعمال المرسل لها إذ يختار حججه وطريقة بنائها وبالأخص في الخطاب الديني ولاسيما الخطاب القرآني الذي يعتبر خطاباً معجزاً في بلاغته وأسلوبه وتراكيب لغته والاستدلالات الخطابية التي بنت منطق خطابه².

ويتأسس الخطاب القرآني على تقنيات بلاغية وأخرى لغوية يشكلان من خلال تكاملهما وتعاضدهما حجاجاً³، وسنحاول التفصيل في هذه التقنيات التي تشكل أساساً منهجياً في مقارنة الخطاب القرآني تعييناً في استجلاء مواطن واستراتيجيات الحجاج التي أسهمت في تشكيل وبناء الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم.

1- التقنيات اللغوية:

يرى صاحب النظرية الحجاجية (ديكرو) أننا نتكلم عامة بقصد التأثير والحمل على الإذعان والإقناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات إنما يحصل بالوسائل اللغوية بإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم⁴، ولا شك في أن هذه الوسائل تقوم بوظيفة حجاجية وظفها الخطاب القرآني بشكل كبير لتحقيق غاية الإقناع والإفحام وإلى التبليغ والدعوة.

ولقد حصر بيرلمان وزميله في كتابهما "مصنف في الحجاج" التقنيات الحجاجية اللغوية في نوعين: نوع يقوم على طرائق الوصل، والنوع الثاني يقوم على طرائق الفصل⁵.

1 - ينظر: الغالي بنهشوم: أساليب الحجاج في الخطاب، ص 20.

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 477.

3 - الغالي بن هشوم: أساليب الحجاج في الخطاب ص 21.

4 - أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 09.

5 - محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 127.

ويقصد بالأولى ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلباً أو إيجاباً¹.

أما النوع الثاني فعباره عن التقنيات التي تستخدم بهدف تفكيك اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل كلا لا يتجزأ وغالباً ما تستخدم هذه التقنيات في تفكيك الأبنية الحجاجية التي يخشى المتكلم على نجاح حججه منها²، وليست هذه الأدوات هي الحجج بعينها كما أنها

لا تستوعبها كلها وإنما هذه الأدوات هي قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق³، وفي هذا يقول الدكتور عبد الله صوله لقد حصر "بيرلمان" و"تيتكا" أشكال الحجاج و بُناه في تقنيتين، الأول الوصل وهو شكل اتصالي ويشمل ثلاثة أنواع من الحجج هي **الحجج شبه المنطقية** التي تستمد طاقتها الإقناعية في مشابقتها للطرائق الشكلية والمنطقية و الرياضية في البرهنة. و**الحجج المؤسسة على بنية الواقع** من قبيل الربط السببي وحجة السلطة، و**الحجج المؤسسة لبنية الواقع** شأن المثل والشاهد والتمثيل والاستعارة⁴.

تتميز الحجج شبه المنطقية بأنها غير ملزمة، أما الحجج المؤسسة على بنية الواقع فهي تقوم على ترابطات قابلة للملاحظة، أما الحجج المؤسسة لبنية الواقع تقوم بالربط بين وقائع متعاشية أو متباعدة في حدود ثلاث تلازمات: التلازم المكاني، التلازم الزماني، التلازم الرمزي.

من هذا المنطلق يتوضح الدور الذي تلعبه الأدوات والتقنيات في إمداد الخطاب بطاقة حجاجية فعالة، ونسج علاقات بين المقدمات والنتائج⁵، لأنها تعين المتكلم على تقديم

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 478.

2 - جميل حمداوي: الحجاج في البلاغة الجديدة، ص 127.

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: مرجع سابق، ص 477.

4 - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن ص 32.

5 - الغالي بنهشوم: أساليب الحجاج في الخطاب، ص 22.

حججه في صورة تناسب المقام أو السياق الذي هو فيه، وتصل غرضه من طرح الخطاب على ذلك المتلقي¹.

ومن هذا المنطلق يمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى تقنيات وآليات وأدوات تلعب دوراً مركزياً في الخطاب الحجاجي وهو ما يطلق عليه بالآليات الشبه المنطقية، تساعد المحاجج على عقد العلاقات بين الحجج والنتائج وتتمثل في:

أ/ **الروابط الحجاجية:** التي تربط حجة ونتيجة أو بين حجتين ويدخل هذا الإطار: (حتى، بل لكن، مع، ذلك، لأن، إذن، لهذا، وأدوات التوكيد)

ب/ **العوامل الحجاجية:** باعتبارها مورفيمات إذا تم توظيفها في ملفوظ معين تؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ وعناصر إسنادية للقول أو للقضية المعبر عنها يدخل في ذلك الحصر، النفي، كاد، ما، إلا، ربما...، ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الإطار أن الظواهر الحجاجية اللغوية التي تم التركيز عليها هي الروابط الحجاجية النحوية مثل: الواو، الفاء، ثم... والروابط التداولية الحجاجية نحو: بل، لكن، حتى، لاسيما² إن العوامل والروابط الحجاجية مفاهيم مركزية في النظرية الحجاجية لا تقوم إلا بها لكونها عناصر تشكل لحمة للخطاب، كما تضمن انسجام الخطاب حجاجياً، وتوجيه المخاطب وجهة قوية بفضل طواعيتها في التدرج في تقديم الحجج متسلسلة سعياً لاستمالة المخاطب والتأثير فيه³.

2- التقنيات البلاغية:

وظف الخطاب القرآني مجموعة من التقنيات والآليات البلاغية ذات أبعاد إقناعية، يهدف من خلالها المحاجج إلى تنظيم الحجج بشكل تسلسلي منطقي بما يتناسب مع السياق والموقف وتتصدر هذه التقنيات الاستعارة والكناية والتشبه والبدیع والجناس والشاهد والمثل والقياس

1 - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 477.

2 - الغالي بنهشوم، أساليب الحجاج في الخطاب، ص 22.

3 - نفسه، ص 23.

الخطابي. وغيرها من الأساليب الإقناعية التي تروم التأثير على المخاطب واستمالته وتوجيهه نحو الوجهة التي يقصدها المتكلم حتى يتقبل المخاطب قضية ما.¹

فقد استطاع الحجاج بأدواته وتقنياته أن يبعد البلاغة عن وظيفتها النمطية المبنية على الزخرفة والمحسنات ليمدها بوظيفة إقناعية واستدلالية.

ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية.²

وهذا البعد الحجاجي للبلاغة موجود في التراث العربي ولا سيما عند الجاحظ من خلال تعريفه للبيان حيث قال: "... لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام"³ فهذه الأساليب والتقنيات البلاغية بالرغم من أنها تحوي بعدا جماليا غايته الإمتاع إلا أن جوهرها حجاجي لأنها تنتمي إلى الخطابات بغرض الاستمالة والتأثير في المتلقي ومنه التوصل إلى الإقناع.

3 - التقنيات الشبه المنطقية:

وهي من التقنيات الحجاجية التي يجسدها السلم الحجاجي، ويندرج ضمنه الكثير منها مثل الروابط الحجاجية (لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد، درجات التوكيد، الإحصاءات وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية: مثل التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة⁴، ويمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه" عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال المزودة علاقة ترتيبية و موفية بالشرطين التاليين:

أ - كل قول يقع في مرتبة من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، حيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال دونه.

ب - كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.⁵

1 - ينظر: أساليب الحجاج في الخطاب ص 24.

2 - صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للنشر والتوزيع سوريا، ط1، 2008، ص50

3 - الجاحظ: البيان والتبيين، دار بيروت، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، ط1، 1968، ص55

4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 477.

5 - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص276.

فكل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه وقبول الحجاج الأول يستلزم قبول الحجاج الثاني ولتوضيح ما سبق نأخذ الأقوال الآتية¹:

1 — حصل زيد على الشهادة الثانوية.

2 — حصل زيد على شهادة الإجازة.

3 — حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وتنتمي إلى نفس السلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل "كفاءة زيد العلمية"

ن — الكفاءة العلمية

ج — الدكتوراه

ب — الإجازة

ا — الشهادة الثانوية

فالسلم الحجاجي بالرغم من أنه يظهر على أنه قياس منطقي إلا أنه ليس بتلك الصرامة المنطقية البرهانية فهو قابل للأخذ، ونتائجه ليست ملزمة وهو من صميم البناء الهندسي للغة كونه يعتمد على آلياتها وأدواتها فهو خطاطة تجسد الإمكانيات الحجاجية في اللغة الطبيعية، وبعدها الصوري الذي يقوم بترتيب الحجج والربط فيما بينها وبين الحجج والنتائج.

يقول شكري المبخوت: "لابد من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة والنتيجة ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها، وقد تبقى ضمنية"² وتستند التقنيات والروابط اللغوية على أشكال حجاجية نلخصها في الآتي:

الشكل الأول: يبني الحجاج فيه على أساس مع أو ضد عند طرح قضيتين أو أطروحتين موضوعا للتحاجج: حجج تدعم الأطروحة الأولى، حجج تدعم الأطروحة الثانية.

1 — حمو النقاري: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006، ص 60.

2 — شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، سوسة، تونس، ص 363.

نتيجة (ظاهرة أو مضمرة).

الشكل الثاني: يبنى الحجاج فيه على الدفاع عن أطروحة معطاة مسبقاً بأدلة وبراهين.

الشكل الثالث: يركز الحجاج على طبيعة الحوار الحجاجي الذي يرتفع إلى مجموعة من الأنماط من قبل المناظرة والتحقيق والمشاجرة والإقناع والحث على فعل السلوك أو تركه (الأمر والنهي).¹

1 - الغالي بنهشوم: مرجع سابق، ص 23.

ثانياً: الآليات الأسلوبية في التشكيل الحجاجي في خطابات أهل الكتاب

1 – آلية التكرار

2 – آلية القصة

3 – آلية السؤال

4 – آلية المثل والتمثيل

5 – آلية النداء

6 – تحليل نماذج للتشكيل الحجاجي

ثانياً: الآليات الأسلوبية في التشكيل الحجاجي في خطابات أهل الكتاب

1 – آلية التكرار

إن الدراسات الدائرة حول الحجاج و أفانينه تجمع أو تكاد على أهمية الدور الحجاجي الذي يضطلع به أسلوب التكرار أو المعاودة و هو أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضيعها واختلاف أجناسها، ولكنه لا يدرس ضمن الحجج أو البراهين، وإنما يعد رافداً أساسياً يرفد هذه الحجج والبراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، بمعنى أن التكرار يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثراً جليلاً في المتلقي، وتساعد على نحو فعال في إقناعه¹.

التكرار آلية من آليات التشكيل الحجاجي في الخطاب القرآني وسنحاول التعرف إلى هذا الشكل بعد تحديد وضبط معناه لغة واصطلاحاً

1 – 1 – تعريف التكرار

أ – لغة: التكرار مصدر من كرّر، يقول ابن فارس: "الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد، من ذلك كررت وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، فهو الترديد الذي ذكرناه " ².

والكرّ: الرجوع على الشيء ومنه التكرار، ويقال: كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه ³.

ب – اصطلاحاً: التكرار هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع أو المعنى الواحد ، بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعداً، وهو اسم لمحمول يشابه به شيء شيئاً في جوهره

1 – سامية الدريدي: الحجاج في الشعر، ص168.

2 – ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979، ج5، ص126.

3 – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج 5، ص135.

المشترك لهما¹. ويقسمه " السجلماسي (ت 704هـ، 1305م) " إلى نوعين، حيث يقول: " التكرار جنس عال تحته نوعان أحدهما: التكرير اللفظي ولنسمه المشاكلة، والثاني: التكرير المعنوي، ولنسمه المناسبة²

هو التعبير عن الموضوع الواحد بأفكار مختلفة ويستعمل بطريقتين: إما أن نكرر ببساطة الشيء نفسه، وإما أننا نتكلم عن الشيء نفسه.³

ويعرفه كل من جاكندوف (Jackendoff) و بنكر (Banker) بأنه: " إجراء يستدعي نفسه، أو مكون يتضمن مكونا آخر من نفس النوع"⁴

وليس هذا التكرار مجرد تقنية أسلوبية، فهو طريقة في تقديم أطروحة تسمح بإنتاج تأثير البروز، ورؤية الفكرة الواحدة من زوايا عديدة، باختصار إنها طريقة لتأطير الأطروحة، هذه الحجة لها أيضا بعد تربوي أساس، لأنه تكرار المعنى نفسه بأشكال مختلفة، ويسمح هكذا بفهم جيد دون أن يؤدي ذلك إلى الخمول، فالتكرار قلما يكون مفردا أي إنه يصلح غالبا للربط بين حجج أخرى تسهم مجتمعة في حزمة في اختلاف رؤية شاملة.⁵

ج — التكرار في القرآن الكريم (المتشابهات):.

وتعني الآيات المتشابهات الآيات المتشابهة في الموضوع أو الصياغة، أو ما يسمى بظاهرة التكرار في القرآن مثل إيراد القصة بصياغات شتى، وفواصل مختلفة بالتقديم والتأخير، بالزيادة والنقصان، أو بالعريف والتذكير أو بالجمع والإفراد أو بالإدغام أو الفك،

1 - السجلماسي، أبو محمد القاسم: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980، ص 476.

2 - نفسه، 477.

3 - فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، ص 108.

4 - طارق مالكي: الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في اللسانيات، كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2019، ص 195، 196.

5 - فيليب بروطون: مرجع سابق ص108.

أو بحروف دون حرف أو كلمة مكان أخرى، و أن يكون في وضع على نظم وفي آخر على عكسه¹.

فالقُرآن حافل بالمتشابه قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: 23).

يقول الزمخشري متشابهها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتتألفها في التخيير والإصابة، وتجاوب نظمه لتأليفه في الإعجاز والتبكيث، ويجوز أن يكون مثنائي بيانا لكونه متشابهها، لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة، و المثنائي جمع مثنى بمعنى مررد و مكرر، ولما ثنى من قصصه و أنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيته، ووعدته ووعدته ومواعظته، ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والإعادة².

1 - 2 - ضوابط التكرار:

لكي يكون التكرار ذا طابع حجاجي يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية:

أ - أن يكون بشكل مضبوط، وبقدر قليل كتكرار كلمات أو عبارات محددة بقصد التأكيد على أهميتها، أو لقصد التأكد من سماع المتكلم لها بشكل صحيح يبدو واضحا، أو للفت الانتباه لأهمية شأنها، ونحو هذا من المقاصد المهمة.

ب - أن يكون التكرار بأسلوب منوع ومشوق، مع مراعاة الزمان والمكان والمخاطبين والأحوال الأخرى، كالحالة النفسية والمزاجية للمخاطبين مع إيداء جوانب مختلفة من القضية في الصور المختلفة للتكرار، كما في تكرار القرآن الكريم للقصص القرآني، حيث تكررت

1 - حسن حنفي: من النقل إلى العقل، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2013، ج 1، ص 309.

2 - الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 123.

قصص كثيرة بأساليب مختلفة، وفي مواضع متعددة حيث تفيد في كل موضع شيئا جديدا لا يوجد في الآخر¹.

نماذج تطبيقية

ويستعمل القرآن الكريم التكرار لتحقيق معانٍ وغايات أهمها تقرير الكلام وتثبيته وتأكيده وهذا هو المعنى الذي يتبادر إلى ذهن في حالة تكرار الكلام، وقد جاءت الأحكام والأخبار مكررة في القرآن لتأكيدا وبيان أهميتها والتذكير بها وأحيانا يراد بالتكرار التعظيم والتهويل، ولا يمكن حصر أشكال التكرار ولا أهدافه وغاياته، فذلك أمر يتعلق بطبيعة الخطاب القرآني وأسلوبه، من حيث سلامة النظم واستقامته. وسندرس هنا بعض النماذج منها.²

— نموذج 1

قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾) (البقرة: 94، 95).

وقال أيضا: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) (الجمعة: 6..8).

(فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) و (لن يتمنوه) في البقرة و (لا يتمنونه) في الجمعة لأن دعواهم في سورة البقرة بالغة قاطعة وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص فبالغ بالرد

1 - ينظر: محمد بن ناصر الشهري: سلطان اللغة، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 2012، ص 80، 81.

2 - محمد فاروق النبهان: المدخل إلى علوم القرآن، دار عالم القرآن، حلب، سوريا، ط1، 2005، ص251.

عليهم بـ" لن" وهو أبلغ ألفاظ النفي، ودعواهم في الجمعة قاصرة مترددة وهي زعمهم أنهم أولياء الله فاقصر على "لا".¹

لقد استعمل الله عز وجل النفي في الآيتين، في الأولى بـ" لن" وفي الثانية بـ" لا" وهما للنفي معاً، ولكنهما يختلفان في القوة الحجاجية، وذلك لتناسب كل منهما حجم الادعاء، فادعاؤهم الأول: أنهم خصوا دون غيرهم بنعيم الآخرة، وهذا مؤشر لتحصيلهم نعمة رضوان الله عليهم في الدنيا دحضه نفي الله له بـ" لن" التي يفيد نفيها استغراق تخصيصهم الدارين معاً، أما الثانية: "لا" فكانت قوتها الحجاجية أقل، لأنها تنفي وتدحض ادعاء أهل الكتاب المقتصر على ولائهم لله في الدنيا من دون الناس.

— نموذج 2

قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (المائدة: 77).

فهذا خطاب للنصارى لأنه في سياق خطابه معهم بقوله: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ﴿٥٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٨﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ قُلْ

1 - الكرمانى، محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيطة، ص 76 .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٢﴾ (المائدة: 72..77)

فوصفهم بأنهم قد ضلوا أولاً ثم أضلوا كثيراً هم وأتباعهم فهذا قبل مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث ضلوا في أمر المسيح وأضلوا أتباعهم فلما بعث النبي ازدادوا ضلالاً آخر بتكذيبهم وكفرهم فتضاعف الضلال في حقهم، وإنما سر الآية أنها اقتضت تكرار لفظة "الضلال" في النصارى ضلالاً بعد ضلال لفرط جهلهم بالحق وهي نظير تكرار لفظة "الغضب" في قوله تعالى: (بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) (البقرة: 90) الذي جاء في حق اليهود فمعناه أن الضلال في النصارى تعددت أشكاله ومعانيه فكان ضلالاً بعد ضلال، فالضلال الأول خطاهم في مقصودهم فقصدوا ما لا ينبغي أن يقصد أي عبدوا من لا يعبد — ضلوا الغاية —، وقد يصيب مقصوده حقا لكن يضل في طريق طلبه فقد ضل الوسيلة ثم إذا دعا غيره إلى ذلك فقد أضله وأسلاف النصارى اجتمعت لهم الأنواع الثلاثة فصلوا عن مقصودهم: فزعموا أن إلههم بشر يقتل ويصلب... فهذا ضلال في المقصود نفسه، وضلوا عن السبيل الموصلة إليه فلا اهتموا ودعوا أتباعهم فضلوا وأضلوا كثيراً عن الحق وعن طريقه فكانوا أدخلوا في الضلال من اليهود فوصفوا بأخص الوصفين "الضالين" وبهذه الشاكلة يفهم تكرار لفظة "غضب على غضب" حيث خص اليهود بوصفهم به "المغضوب عليهم"¹ فقد حقق تكرار الكلمتين "الضلال" و"الغضب" قوة حجاجية تؤكد أحقية كل طائفة من طائفتي أهل الكتاب بالوصف الذي خصت به.

1 - ينظر: ابن القيم الجوزية: التفسير القيم، ج1، ص128.

2 – آلية القصة

2 – 1 – تعريف القصة:

أ – لغة: القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته، ومن ذلك اشتقاق القصص في الجراح وذلك إنه يفعل به مثل فعله بالأول فكأنه اقتص أثره، ومن الباب القصة والقصص¹.

والقصة: الخبر وهو القصص. وقصّ عليّ خبره يقصّه قصّاً. وقصصا: أوردته، والقصص: الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب... وتقصص الخبر، تتبعه. والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها².

ب – اصطلاحاً: يعرفها محمود تيمور "هي عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره فأراد أن يعبر عنها بكلام ليصل بها إلى أذهان القراء محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه³.

أو هي عبارة عن تسجيل لفترة معينة من فترات الحياة تضم حادثة واحدة أو عدة حوادث أثارت انطباعات أو انفعالات في نفس الكاتب دفعه إلى أن يسجل حادثة أو حوادث تلك الفترة الزمنية التي قد تكون طويلة تستوعب حياة فرد أو جماعة بأكملها – كما نلاحظ ذلك في الرواية – وقد تكون متوسطة الطول تسجل أو تؤرخ لمرحلة من مراحل الحياة كما هو الحال في القصة، وقد تكون قصيرة خاطفة تشكل جزءاً من مرحلة معينة كما هو الحال في القصة القصيرة⁴.

1 – ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج5، ص11

2 – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج7، ص74.

3 – محمد المفتي وآخرون: مدخل إلى علوم القرآن والسنة النبوية، دار أمواج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012، ص96.

4 – فالح الربيعي: القصص القرآني رؤية فنية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2002، ص18.

ج - مفهوم القصة في القرآن الكريم: هي إحدى وسائل التعبير التي شغلت مساحة واسعة من القرآن الكريم لكونها من أبلغ الوسائل تأثيراً في النفوس، وأكثر قبولاً لدى جمهور المستمعين والقارئ كما أنها تعبير عن روح الأمم وعقليتها وطبيعتها¹. فهي تتنوع وتستقصي أخبار الأمم البائدة والتي سبقت عصر النبوة، وأكثر القصص وروداً في القرآن هي التي تقص نبأ وأخبار أهل الكتاب .

يقول محمد عابد الجابري: "القصص القرآني نوع من ضرب المثل، والمثل لا يضرب لذاته، ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان، من أجل العبرة، من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل... يؤكد هذا المعنى في القرآن اقتران المثل بالقص في كثير من آياته².

قال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ) (الأعراف: 176، 177)

وما يهمنا هنا اعتبار القصة ذات بعد حجاجي شأنها شأن المثل، لكنها تحمل طاقة حجاجية عالية، لأنها تحوي بعداً حجاجياً مضافاً متمثلاً في تشكيلها الداخلي.

إن خضوع القصة للغرض الديني، لم يمنع الخصائص الفنية في عرضها، فقد لامس القرآن الوجدان واتبع في ذلك التصوير، فبلغ الغاية بمادته وطريقته³. والقصة إحدى وسائل إبلاغ الدعوة وتثبيتها⁴.

1 - صابر مشيل: القصة القرآنية مفهوماً وأسلوباً، المجلة الجامعة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، صبراتة ليبيا، العدد 11، 2009، ص 47.

2 - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، ص 258.

3 - عبد الله شحاتة: علوم التفسير، ص 117.

4 - السيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط7، 2004.

فالقصة القرآنية وظفت لتثبيت دعوى واعتقادات الأنبياء والرسول وفيها رد ودحض دعاوي المنتقدين، فهي حجة ودليل سيق في قالب فني تصويري له من التأثير في نفوس المسلمين أيما أثر فضلا عن غيرهم ولاسيما أهل الكتاب لأنهم أخذوا نصيب الأسد من هذه القصص التي تخبر عن أنبيائهم وتجب عن تساؤلهم.

— نموذج

قال تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: 142)

ذكر الله عز وجل قصة إبراهيم عليه السلام وكيفية أحواله والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام يعترف بفضل جميع الطوائف والملل ، فالمشركون كانوا معترفين بفضل متشرفين بأنهم أولاده ومن ساكني حرمة وخادمي بيته ، وأهل الكتاب كانوا أيضا مقرين بفضل متشرفين أنهم من أولاده ، فحكى الله سبحانه وتعالى عنه أموراً توجب على المشركين وعلى أهل الكتاب قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه ، فحكى الله ذلك عن إبراهيم ليكون حجة على أهل الكتاب في وجوب الانقياد لأمر تحويل القبلة إلى الكعبة . فبين الله تعالى أن هذا البيت قبله إبراهيم الذي تعترفون بتعظيمه ووجوب الاقتداء به ، فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك الغضب عن قلوبهم¹.

3 — آلية المثل والتمثيل:

3 — 1 — تعريف المثل والتمثيل:

١ — لغة: الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد، وربما قالوا مثيل كشيء... والمثل: المثل كشيء وشبهه. والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر موري به عن مثله

1 — ينظر: الرازي: فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج13، ص

في المعنى¹، والمثل مأخوذ من المثل والحدو² والمثل له أربعة معانٍ الشبه والنظير ومنه المثل الضروب وأصله من التشبيه ومثل الشيء حاله وصفته³.

ب - اصطلاحاً: هو نمط إقناعي بواسطة الاستقراء البلاغي يتم فيه الانتقال من خاص إلى خاص آخر بواسطة حلقة خفية للعام⁴. وهو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة لبيان أحدهما الآخر ويصوره⁵. وهو امتداد للاستعارة التمثيلية وهو صيغة لا تتغير أبداً رغم تغير السياقات التي يرد فيها باعتباره حجة ودليلاً⁶. كقولهم الصيف ضيعت اللبنة بكسر التاء خطاباً للمؤنث فلو قيل لرجل أهمل وقت الإمكان ثم راح يطلبه بعد فواته لقلت له: الصيف ضيعت اللبنة بكسر التاء على الحكاية.

والمثل تشبيه سائر وتفسير السائر أنه يكثر استعماله على معنى أن الثاني بمنزلة الأول والأمثال لا تغير لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة أنها بمنزلة من قيل له هذا القول فالأمثال كلها حكايات لا تُغير⁷.

ج - تعريف المثل القرآني

ويعرف ابن القيم الأمثال القرآنية بقوله: "فإنها تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر⁸، كقوله

1 - ابن فارس، أبو الحبيب أحمد بن زكريا مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، 2002، ج5، ص238.

2 - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج11، ص612.

3 - السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج2، ص311.

4 - رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، 1984، ص53.

5 - محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ج8، ص65.

6 - هاجر مدقن: آليات تشكل الخطاب الحجاجي، بين نظرية البيان ونظرية البرهان، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، مارس 2006، ص191.

7 - فخر الدين الرازي نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 2004، ص132.

8 - ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تخريج أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان وأبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، مملكة العربية السعودية ط1، 1423هـ، ج2، ص270.

تعالى في حق المنافقين: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) (البقرة: 17)

د - تعريف التمثيل

هو أن تثبت القاعدة سواء كان مطابقاً للواقع أم لا بخلاف الاستشهاد، والتمثيل أيضاً أن يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب منه، وإنما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف يصح أن يكون مثالا للفظ المعنى المرادف¹، ويعرف على أنه "أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف و يبين الجهة الجامعة بينهما والآيات الكريمة التي تنهج ذلك النهج كثيرة² ومثاله قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَّبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى

ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِّنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِّنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج: 5)

والتمثيل مفهوم موسع يدل على الفعل المبلغ للتمثل وعلى فعل الإخبار وعلى فعل التقدير وعلى فعل الاعتبار وعلى فعل الاستدلال وعلى فعل الاقتداء وعلى فعل الشبيه وعلى فعل التصوير³. هذا ما يجعل للتمثيل طاقة حجاجية عالية ولأننا ربطناه بالمثل سنضيق من اعتبارات هذا المفهوم.

1 - الكفوي: الكليات: ص 452.

2 - محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 68.

3 - حمو النقاري: معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2016، ص 220.

ويرى بيرلمان إن التمثيل طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة.¹

وفي هذا يقول الرازي وقد خصوا التشبيه المنتزع من اجتماع أمور بتقيد البعض ببعض باسم التمثيل². ويطلق السجلماسي على التمثيل المماثلة، ويعتبرها جنسا من التخيل فيقول: "وحقيقتها التخيل وتمثيل الشيء بالشيء له إليه نسبة، وفيه منه إشارة وشبهة، والعبارة عنه به، وذلك أن يقصد الدلالة على المعنى، فيضع ألفاظا تدل على معنى آخر. ذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الدلالة عليه³.

لقد جمعنا بين حجاجية المثل مع حجاجية التمثيل لأن الأول يدخل ضمن الثاني، وكما صرحنا سابقا أن التمثيل مفهوم موسع. وفي هذا يقول السجلماسي: "وفي هذا النوع تدخل الأقاويل المثلية أعني المثل السائر في ثاني حاله أعني إذا نقل عن أصله متمثلا به كقولهم: "تسمع بالمعيدي لا أن تراه" لمطابقة حد المماثلة له في تلك الحال فقط دون اعتبار أصله وأول حاله⁴

ولضرب الأمثال أربعة شروط هي:

- صحة التشبيه وإصابة التمثيل.
- أن يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا.
- أن يسرع وصولها إلى الفهم ويتعجل تصورها في الوهم من غير ارتياء في استخراجها
- أن تتناسب حال السامع لتكون أبلغ تأثير وأحسن موقعا⁵.

1 - عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقارنة تداولية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012،

2 - الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص132.

3 - أبو محمد القاسم السجلماسي: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص244.

4 - نفسه، ص248.

5 - الماوردي: أدب الدين والدنيا، ص460.

2 - أنواع المثل عند العرب

عرف العرب ثلاثة أنواع من الأمثال وهي:

أ- المثل السائر: وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاثة خلال، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه.¹

ب - المثل القياسي: وهو سرد وصفي أو قصصي أو تصويري لتوضيح فكرة عن طريق تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين إلى الآخر أو اعتبار أحدهما بالآخر بغرض التأديب أو التهذيب أو الإيضاح ومنه قوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (البقرة: 171)

ج - المثل الخرافي: وهو قصة قصيرة بسيطة رمزية غالباً لها مغزى أخلاقي وقد تكون على السنة الحيوانات كقصص كليلة ودمنة لـ "ابن المقفع"²

3 - أغراض ضرب المثل والتمثيل في القرآن الكريم:

لقد أحصى الميداني ثمانية أغراض في توظيف المثل في القرآن الكريم وهي:

- تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل.
- الإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على مجرد لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة المشابهة.
- الترغيب بالترتيب والتحسين، أو بالتفكير بكشف جوانب القبح فالترغيب يكون بترتيب الممثل له، وإبراز جوانب حسنه عن طريق تمثيله بما هو محبوب للنفوس مرغوب لديها والتفكير يكون بإبراز جوانب قبحه عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس أو تنفر منه.
- إثارة محور الطمع أو الخوف لدى المخاطب.

1 - أبو عبيد القاسم ابن سلام ابن عبد الله الهروي: الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1980، ص34.

2 - ينظر: إميل بديع يعقوب: موسوعة أمثال العرب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص 18..19.

- المدح أو الذم والتعظيم أو التحقير.
- شحذ ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية، أو استرضاء ذكائه لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد.¹
- تقديم أفكار غزيرة جدا ودقيقة يحتاج بيانها عن غير طريق المثل كلما كثيرا قد يصل إلى العشرات الصفحات وكرر من ذلك فيدل عليه المثل بأقصر عبارة.
- إثارة تغطية المقصود من العبارة من المثل تأدبا في اللفظ واستحياء.²

4 - أهمية التمثيل:

— يقول الجرجاني: "اعلم أن مما اتفق عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة ... وضاعف قواها في تحريك النفوس لها... وقصر الطباع على أن تعطىها محبة وشغفا. فإن كان مدحا كان أبهى ... وأنبل في النفوس ...

وإن كان دما كان مسه أوجع ...

إن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر".³

— يقول الزمخشري: "ولضرب المثل زيادة في الكشف وتتميم للبيان... وحتى تريك المتخيل في صورة المحقق... وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبى".⁴ ويتضح من خلال هاتين المقولتين دور وأهمية المثل والتمثيل في الخطاب الحجاجي عند علماء المسلمين.

1 - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها في هيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق، ط1، 1996، ج1، ص77.

2 - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أمثال القرآن الكريم وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، ط2، 1992، ص60.

3 - الجرجاني: أسرار البلاغة، 94.

4 - الزمخشري: مرجع سابق، ج1، ص 72.

– نموذج 2:

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (البقرة: 26)

قال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية.¹ فجاء المثل على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال، وهو فن بديع وطرز عجيب.²

ومنه قول أبي تمام:

مَنْ مَبْلُغُ أَفْنَاءِ يَعْرُبَ كُلِّهَا أَنِّي ابْتَتَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ

وهذا من قبيل الحجاج التقويمي فأنه عز وجل يعلم ما تخفي نفوسهم فالرد كان استباقا لما سيقولونه ويظهرونه.

4 – آلية السؤال

4 – 1 – تعريف السؤال:

1 – لغة: هو استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها، إما بوعده أو برده³، والسؤال عند أهل النظر هو الاعتراض، والسائل هو المعترض، فالسائل من نصب نفسه لنفي الحكم الذي ادعاه المدعي بلا نصب

1 – الواحدي: أسباب النزول، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط2، 1995، ص 23 .

2 – الزمخشري: مرجع سابق، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، ج1، ص 13

3 – الكفوي: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 501

دليل عليه، فعلى هذا يصدق المناقض فقط، وقد يطلق على ما هو أعم، وهو كل من تكلم على ما تكلم به المدعي أعم من أن يكون مانعا أو مناقضا أو معارضا¹

ب - اصطلاحا:

والسؤال: هو طلب الإخبار بأداته في الإفهام، وأدواته: هل، الألف، أم، ما، من، أي، كيف، أين، متى.²

والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيث.³

والاستفهام نوع من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الإنشاء، وهو كلام يدل على طلب الفهم ما اتصل به أداة الطلب.⁴

والاستفهام طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن لزم أن لا يكون حقيقة إلا إذا صدر عن شاك، يصدق بإمكان الإعلام فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفتت فائدة الاستفهام. قال بعض الأئمة وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام وإنما يقع في خطاب على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي الحاصل.⁵

والفرق بين السؤال والاستفهام أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه، وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم ويجوز أن يكون السائل يسأل عما يعلم وعما لا يعلم.⁶

1 - التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996، ج1، ص 920.

2 - أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية،

3 - الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق - صفوان عدنان الداودي، دار

الشامية، دمشق، ط1، 1412هـ، ص 437.

4 - التهانوي: مرجع سابق، ج1، ص 171

5 - المرجع نفسه، ج1، ص 171

6 - أبو هلال العسكري المرجع السابق 31.

يعد التساؤل محفزاً رئيساً لطبيعة الفكر الإنساني بوصفه حركة الذهن من المعلوم إلى المجهول، وهذه الحركة لا تتم إلا من خلال التساؤل والتفكير، وإن تسخيرها في المباحث الحجاجية ينطلق من بلاغة الخطاب الحوارية¹. ويعد الاستفهام من الوسائل الحجاجية المهمة التي تحفز المتلقي، ويمكن من خلاله معرفة الموقف ضمناً أو علناً بقرائن السياق، ويعرف هذا النوع من الاستفهامات أنه نمط يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية².

— نموذج تطبيقي:

تتجلى أهمية المساءلة في الحوار الذي يقود إلى التحولات في المواقف على غرار ما حدث في هذا الحوار بين موسى عليه السلام وقومه، إذ تحولوا بآلية المساءلة من شعورهم بالسخرية من أمر إلى الخوض في مواصفات المذبوح (البقرة)، إلى استمالتهم والتصديق بالأمر، إلى الامتثال والفعل.

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةٍ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾) (البقرة: 67.. 71).

قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا

1 - نعمة دهش فرحان الطائي: نظرية المساءلة والبلاغة لميشال مايبير، مقارنة في الأصول والأسس والتمثيلات، مجلة

كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 43، نيسان 2019، ص 2184

2 - منى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1 ص 139.

وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ
(الأعراف:143)

هذا السؤال لتبكييت قوم موسى عليه السلام الذين بين الله قولهم بقوله: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا) (النساء:153)¹.

قال تعالى: (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران:20).

أُسْلَمْتُمْ فهو استفهام في معرض التقرير والمقصود منه الأمر أي اسلموا قال النحويون إنما جاء بالأمر في صورة الاستفهام لأنه بمنزلة في طلب الفعل والاستدعاء إليه إلا أن في التعبير عن معنى الأمر بلفظ الاستفهام فائدة زائدة وهي التعبير بكون المخاطب معاندا بعيد عن الإنصاف لأن المنصف إذا ظهرت له الحجة يتوقف في الحال و يقبل ونظيره قولك لمن لخصت له المسألة في غاية التلخيص والكشف والبيان هل فهمتها فإن فيه الإشارة إلى كون المخاطب بليدا قليل الفهم² والتقرير حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده³، وحقبة استفهام التقرير انه استفهام إنكار والإنكار نفي⁴ وهذا فيه إظهار عناد وإصرار أهل الكتاب على الباطل بعد اتضاح الدليل وإقامة البرهان وفيه أمر لهم باتباع هذا الدين.

1 - ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي: انوار التنزيل وأسرار التأويل تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط1 ، 1418هـ، ج3، ص33.

2 - الرازي مفاتيح الغيب، ج8، ص188.

3 - الزركشي البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم دار المعرفة بيروت، ط1، 1957، ج2، ص331.

4 - نفسه ج2، ص333.

قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ) (المائدة: 59).

إن الاستفهام فيه للإنكار فيكون بمعنى النفي وجاء الاستفهام للتأكيد من وجهين¹.

— تأكيد نفي الإيمان عن أهل الكتاب.

— تأكيد نفي الفسق عن المسلمين.

وإذا كان الفعل الحجاجي المتضمن في هذا الاستفهام هو الإنكار إلا أن في حيثياته معاني حجاجية أخرى تدعم الدعوى وتدح وتبطل الدعاوي المضادة وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ، 1078م): "واعلم أنا وإن كنا نظهر "الاستفهام" في هذا بالإنكار فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب، إما لأنه ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه فإذا ثبت على دعواه قيل ف"افعل" فيفضحه ذلك وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ وإما لأنه جوز لوجود أمر لا يوجد مثله فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه وقيل له فأرنا في موضع وفي حال وأقم شاهدا على أنه كان في وقت، ولو كان يكون للإنكار وكان المعنى فيه في بدء الأمر لكان ينبغي ألا يجيء فيما لا يقول عاقل أنه يكون حتى ينكر عليه كقولهم: أتصعد إلى السماء؟ أتستطيع أن تتقل الجبال؟² وبالإضافة فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يوهم أن ما يأتي بعده مما يوجب أن ينقم على فاعله، مما يذم به، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنا تأكيد المدح بما يشبه الذم.³

1 - التهانوي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون، ج1، ص375.

2 - عبد القاهر، بن عبد الرحمن الجرجاني دلائل الإعجاز تحقيق عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2001، ص75.

3 - جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ج1، ص298.

كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء على سبيل الامتحان والتعجيز وليس على سبيل الهداية والانصياع للحق وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يورد الجواب على وجهه ويأتي به على نصه كما هو معروف لديهم ومقرر في كتبهم وهناك إجابات كانت عن طريق الوحي¹، ومن هذه الأسئلة قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: 85)

بين الله عز وجل أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح وهذا فيه جانب حجاجي من جهتين:

أولهما: أن صاحب السؤال لا يريد البحث عن الحقيقة بل يريد أن يعجز من باب المشاغبة والتعنت.

ثانيهما: أن هذه المعرفة تفوق إدراك السائل.

فكان الجواب على عمومته غلقا لباب المراء والجدال، أما من وجهه الثاني فقد وضع أسلافنا أصولا وقواعد للسؤال يبني عليها الجدل والحوار هي:

أولا: السائل وهو الذي يقوم بطلب الاستفهام عن مبهم، والسائل هنا هم أهل الكتاب وبالضبط هم اليهود.

ثانيا: المسؤول به ويقصد به صيغة السؤال، يكون ببعض ألفاظ الاستفهام، والصيغة التي تثبت حدوثه، هي يسألونك.

ثالثا: المسؤول: وهو الذي يوجه له السؤال وهنا هو النبي عليه الصلاة والسلام،

رابعا: المسؤول عنه: ومن شروطه يجب أن يكون مما يمكن إدراكه.²

1 - صالح بن عبد الله ابن حميد وآخرون، نظرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط4، ج2، ص552.

2 - ينظر: أبو البركات عبد الرحمن، كمال الدين بن محمد: الإغراب في جدل الإغراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971، ص36.

وهذا السؤال فيه إخلال بالأصل الأخير من أصول السؤال، إن المعرفة بهذه الحقيقة، لا تتأتى لأنها تفوق تصورات الذهن وفي الجواب "قل الروح من أمر ربي" أي شأن الروح شأن الغيبيات يجب الوقوف عندها والتوقف عن الإجابة عن مثل هذا السؤال، وهذا منهج سار عليه من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق عن معرفة الأمور الإلهية مثل من سأل عن كيفية الاستواء قال مالك رضي الله عنه (ت179هـ - 796م) فيها "الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"¹.

إن جل الأسئلة في خطابات أهل الكتاب تحمل أبعادا حجاجية يتعدى طبيعة صيغتها وبنيتها الشكلية التي تحمل طبيعة التساؤل إلى أغراض استلزامية تفتح أفق التأويل وتستفز الذهن للوصول لمحتواها الذي تبينه ملابسات السياق.

5 - آلية النداء

5 - 1 - تعريف النداء

أ- لغة: النداء لغة مصدر من "نادى"، نادى فلانا: دعاه بصوت عال² والنداء ممدود الدعاء بأرفع الصوت، وقد ناديته نداء، وفلان أندى صوتا من فلان، أي أبعد مذهباً وأرفع صوتاً.³

ب - اصطلاحاً: هو طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النداء ينوب مناب "أدعو"، وأدوات النداء ثمانية: "الهمزة أ"، "أي، آ، هيا، وا، يا، أي".

ويعرف بأنه طلب الإقبال حساً أو معنى⁴.

ويقول العلامة سليمان الجمل (ت 1204هـ - 1790م) في حاشيته على الجلالين: "واعلم أن النداء على سبع مراتب: نداء مدح، ونداء ذم، ونداء تنبيه، ونداء إضافة، ونداء

1 - أبو حامد محمد الغزالي: إلهام العوام عن علم الكلام، تحقيق: هيئة التأليف في وقف إسماعيل آغا، مكتبة السراج، تركيا، ط1، 2017، ص35.

2 - إميل بديع يعقوب: موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2006، ج9، ص279.

3 - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج15، ص313.

4 - محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط2، 2007، ص299.

نسبة، ونداء تسمية، ونداء تعنيف. فالأول كقوله: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، والثاني كقوله: يا أيها الذين هادوا، يا أيها الذين كفروا، والثالث كقوله: يا أيها الإنسان، يا أيها الناس، والرابع كقوله: يا عبادي، والخامس: قوله: يا بني آدم، يا بني إسرائيل، والسادس كقوله: يا داود، يا إبراهيم، والسابع كقوله: يا أهل الكتاب.¹ ولم يقع النداء في القرآن بغير: "يا" من الأدوات.² وقد وردت صيغة النداء: "يا أهل الكتاب"

اثنتي عشرة مرة، "يا بني إسرائيل" ست مرات، "يا أيها الذين هادوا" مرة واحدة الجمعة الآية 6، "يا أيها الذين أوتوا الكتاب" مرة واحدة النساء الآية 48، "يا أيها الناس" ويقصد بالناس أهل الكتاب مرة واحدة في الأعراف. وقد ورد النداء بغير "يا" مرة واحدة ب "ها" "ها أنتم هؤلاء حاجتكم" آل عمران الآية 66.

نماذج تطبيقية

أ - "يا أيها الذين هادوا":

قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾) (الجمعة: 6، 7)

قال الزمخشري: كثر في القرآن النداء ب "يا أيها" دون غيرها لأن فيها أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة منها: ما في الياء من التأكيد والتنبية، وما في الهاء من التنبية، وما في التدرج من الإبهام في "أي" إلى التوضيح.³

وزيادة التوكيد بالبدل "الذين" فيه من التنبية واسترعاء للأسماع و التهويل لما تقوله اليهود: زعمهم أنهم أولياء الله، ولعظم دعواهم جاء النداء مؤكدا لتحقيق الإصغاء وبث التخويف بهذا النداء قبل ظهور الدعوة لما افتروه وادعوه فيكمّن الجانب الحجاجي في هذا النداء

1 - سليمان بن عمر العجيلي المعروف بالجمال: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجالين للدقائق الخفية، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص37 .

2 - نفسه ج1، ص37.

3 - ينظر: الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي بيروت، ط3 1407هـ، ج1 ، ص 89، 90 .

أنه يدعم ويساند الدعوى الداحضة لمعتقد اليهود، ويسهم في تقديم وبناء الحجج إضافة لما يحمله في ذاته من معاني التعنيف والتهويل.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: 21).

الخطاب "النداء" هنا لليهود خاصة قاله الحسن ومجاهد وفيه هز للسامع وتحريك له، الخطاب هنا فيه انتقال من الإخبار الذي فيه عموم لكل من المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وخطاب النداء هنا فيه تخصيص وهو التفات شبيه بقوله: "إياك نعبد" بعد قوله: "الحمد لله رب العالمين"¹.

ب - "ها أنتم":

قال تعالى: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (آل عمران: 66)

ها أنتم هؤلاء: الهاء للتنبيه، وهو موضع النداء، يعني يا هؤلاء، والمراد بهم أهل الكتابين يعني: يا معشر اليهود والنصارى.²

يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم³.

1 - ينظر: أبو حيان الأندلسي، بحر المحيط، تحقيق، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420 هـ، ج1، ص 152.

2 - الخازن علاء الدين علي بن محمد: لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1415هـ، ج1، ص 256.

3 - الزمخشري، مرجع سابق، ج1، ص 371.

ج - "يا أهل الكتاب":

إن الخطاب الذي جاء بهذه الصيغة ينطوي على شيء من التسامح واللين بخلاف الخطاب الخاص بكل من اليهود والنصارى¹، في حين أن هناك العديد من هذا النوع من الصيغة قد يختص إحدى الطائفتين والسياق كفيل بإثبات المخاطب الحقيقي.

وفي ندائهم بـ "يا أهل الكتاب" تشریف وتعظيم لهم بإضافتهم للكتاب وبعثا لهم على قبول ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه جاء بكتاب وهم أهل كتاب واحتجاج عليهم بأن الإيمان بالكتاب الذي عندهم يقتضي الإيمان بالكتاب الذي جاء به لأنه من جنسه².

وهذا فعل تأثيري من شأنه أن يؤثر في المخاطب، فيقبل على المتكلم وكله آذان صاغية، لما سيلقى عليه حتى وإن كانت دعوى مضادة لما يعتقد عكس خطابك له بما يكره فيكون حائلا بينك وبينه.

6 - تحليل نماذج للتشكيل الحجاجي في خطابات أهل الكتاب في القرآن الكريم من خلال تقنياته اللغوية والبلاغية وشبه المنطقية:

النموذج الأول:

قال تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾) (البقرة: 40..42)

1 - عارف هندية جاني فرد: حوار الأديان في القرآن الكريم، إشكالات الحوار وآفاق التواصل، جمعية القرآن الكريم

بيروت، ط1، 2014، www.qurankaarim.org.

2 - عبد الحميد محمد بن باديس: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص 328 .

في هذه الآيات الكريمة نجد العديد من الآليات والتقنيات التي تم بها نسج التشكيل الحجاجي كالتالي:

• الآليات اللغوية:

— استعمال النداء "يا بني إسرائيل": لتحقيق الفعل التأثيري بلفت انتباه المخاطب لأهمية ما سيلقى عليه.

— تكرار النهي "لا" في "لا تكونوا، لا تشتروا، لا تلبسوا، و. تكتموا"

— تكرار فعل الأمر: "اذكروا، أوفوا، فارهبون، آمنوا، فاتقون.

— الترادف: تلبسوا، تكتموا.

فهذه التقنيات مجتمعة متساندة في تحقيق إلحاح مؤثر يحقق الإقناع ويستميل المخاطب إلى التسليم والانقياد لمراد الله عز وجل

"أوفوا بعهدي أوف بعهدكم " وهذه التقنية تعرف ب"الحجاج بالتبادل" تقوم على التساوي بين طرفي الخطاب وخاصة في موقف النصح والتوجيه لإقناعهم ببعث الطمأنينة في نفوسهم بإقامة العدل وعدم الشعور بالظلم.

• الآليات البلاغية:

— الاستعارة: — "لا تلبسوا الحق".

— "لا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا".

— الكناية: — "آمنوا بما أنزلت" كناية عن القرآن الكريم.

— "مصدقا لما معكم" كناية عن التوراة والإنجيل.

— الطباق: — "الحق بالباطل"

— آمنوا، كافر.

— تكتموا، تعلمون.

وهذه التقنيات البلاغية تضافرت وتساندت فيما بينها لتحقيق قوة تأثيرية حجاجية تدفع التعارض وتوصل إلى الإقناع ببيان مدى جرم وتعنت بني إسرائيل إن لم يمتثلوا إلى الحق الجلي أن القرآن حق وأن التوراة والإنجيل حق وأنها منزلة من عند الله وأن محمداً رسول مبعوث حقاً، فبعد هذه الحجج البلاغية كان على بني إسرائيل الإيمان والتصديق وعدم الجحود، فهذه التقنيات البلاغية بجوانبها الجمالية الإيقاعية، والتعبيرية التخيلية التصويرية

كانت حجاجية بامتياز لأنها استغلت الإمكانيات البلاغية التأثيرية للوصول إلى الإقناع الذي لا يتعداه إلا معاند ، يقف عندها كل باحث عن الحق.

• الآليات المنطقية

نجلي الحجج الشبه المنطقية في الآيات من خلال المقدمات أو المواضع كالتالي:

— صاحب الفضل يُشكر: يظهر هذا في " اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم".

قال مجاهد: نعمة الله التي أنعم بها عليهم: فجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، وأنجاهم من عبودية آل فرعون، وقال أبو العالية: نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب¹، فالمنطق يقتضي الشكر والطاعة من المتمتع عليه "بنو إسرائيل" لله عز وجل لأنه صاحب تلك النعم.

ولعلنا بعرض هذه الآليات المختلفة نكون قد حاولنا التعرف إلى جوانب من كيفية التشكيل الحجاجي في خطابات أهل الكتاب وقد جندها الله سبحانه وتعالى في كلامه المعجز بإحكام يهز النفوس ويقنع العقول بتجلية الحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر.

النموذج الثاني:

قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

1 - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ، ج1، ص148.

فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٤﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٥﴾ (الأعراف: 174..177)

تحدث عن سيار أنه كان رجلاً يُقال له بلعام، وكان قد أُوتِيَ النبوة، وكان مُجاب الدعوة. ثم انتكس بأن عصى الله وأطاع الشيطان¹ وهذه القصة موجودة في كتب أهل الكتاب ثم مثل لبطل القصة بتشبيهه بالكلب وهذا تقوية لحجية القصة فهم يعرفون مآله. ويظهر الجانب الحجاجي في هذه المقدمات في:

أ - أن حجية هذه القصة مما هو مقرر في كتبهم.

ب - تدعيم هذه القصة بالمثل.

ف "أ" هي عبارة عن مقدمة حجاجية في شكل واقعة حقيقية، مدعومة بتقنية حجاجية بلاغية "ب" أوصلت بين ما هو خارج اللغة (قصة بلعام، والكلب الذي يلهث) باللغة وذلك عن طريق الربط بالتمثيل كـ "مثل" و هو رابط بلاغي لغوي وذلك وفق التقنية الوصلية التي تجمع بين الأطراف المتباعدة لإنشاء عالم جديد في الذهن الذي يربط بين واقعيتين ليقرب الحجة لمن يجهل القصة الحقيقة ليتجلى لهم فحواها، ورغم أن المقدمات الناجحة توصل إلى النتائج المرجوة وهو التأثير ومن ثم الاقتناع إلا أن أهل الكتاب تمادوا في غيهم ولم يعتبروا لا بالقصة ولا حتى بالمثل من منطلق الجحود.

وبهذا يتشكل السلم الحجاجي الذي يفضي إلى إظهار مدى كذب اليهود لأن القصة فيها من تعظيم ما يدعونه من كذب وبهتان ويصور سقوط حالهم وهوانهم عند الله إذا استمروا في تكذيبهم بل أنهم أكثر ضلال بعد أن علموا ما في هذا الكتاب من الحق وهذا بتشبيههم بأشنع تشبيه وأبشع تصوير ليرسم في مخيلتهم عظم الجرم الذي يرتكبونه

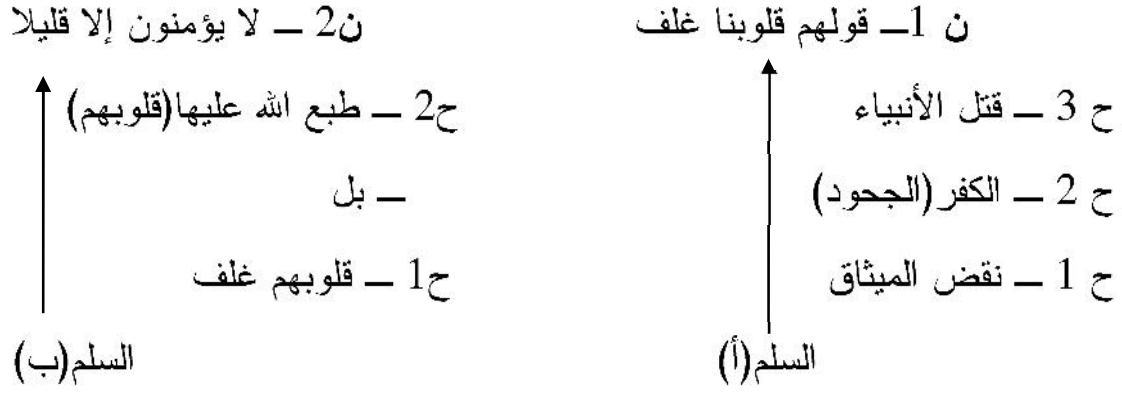
1 - محمد بن جرير أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001، ج10، ص568.

ويجسم في عقولهم قبح ادعاءهم وفي الوقت نفسه تدعيم بما جاء به هذا الدين لأن فيه من أخبار، ما في كتبهم يلزم عنه اتباع هذا الدين لأنه الحق.

النموذج الثالث:

قال الله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ (النساء: 155..160)

جاء التكرار هنا بطريقة التفصيل: نقض الميثاق، الكفر، قتل الأنبياء، قولهم قلوبنا غلف، قولهم على مريم البهتان، دعوى قتل المسيح عليه السلام، ثم إجمال هذا في الظلم لأنه يعم كل ما تقدم قبله وينطوي عليه ثم إعادة تفصيل هذا المجمل في الآتي: الصد عن السبيل، أخذ الربا، أكل أموال الناس أفاد تكرر التخصيص الأول والثاني التعظيم من شأن الظلم. وشكل هذا التكرار سلما حجاجيا بما احتواه من قسم حجاجي في اتجاه واحد ومثاله في الآية الأولى جاء كالتالي:



أدت الحجج المتساندة: (ح1، ح2، ح3) في السلم الحجاجي (أ) إلى (ن1) ثم أصبحت (ن1) حجة تدخل في تشكيل السلم الثاني (ب) (ح1، ح2) الذي ربط بينهما الرابط الحجاجي "بل" التي أفادت في ترتيب قوة الحجج مع إبقاء التوجيه نفسه. وهناك سلالم حجاجية أخرى في الآيات التي بعدها تتكاتف فيما بينها لتبين النتيجة العامة للآيات وهي الظلم. وترتيب هذه الحجج في سلالم تفضي إلى نتائج تتوسع لبناء هذه الفكرة التي تريد بالأخذ بأهل الكتاب إلى الاعتراف بظلمهم وفي الوقت نفسه ردع وتعنيف، للتوقف عن ظلم أنفسهم وظلم الله عز وجل.

خاتمة

خاتمة

لقد أسفر بحثنا فيما تم عرضه على نتائج جاءت في طياته يمكن أن نرصد أهمها:

— إن خطابات أهل الكتاب في القرآن الكريم تجلّى فيها الحجاج بصورة عالية قوية، إذ اتسعت هذه الخطابات للحجاج الذي تحدد مفهومه وفق وجهات نظر مختلفة من لغوية إلى بلاغية إلى شبه منطقية.

— كما تبين من خلال الدراسة حضور أصناف الحجاج وخاصة التوجيهي منه والتقويمي في خطابات أهل الكتاب في القرآن .

— كما احتوى الخطاب المدروس جل أنواع الحجاج التي ذكرت في القسم النظري ومنها الحجاج بالسلطة وحجاج بالتجهيل والحجاج بالمغالطة.

— كما تجلت في الخطاب الواحد مختلف آليات الحجاج من لغوية وبلاغية وشبه منطقية وجاءت داعمة لبعضها، متساندة في اتجاه تحقيق النتائج.

— إن هذا التنوع المتساند والموظف في آن واحد قد يعطي خصوصية لبناء الحجاج في القرآن الكريم تميزه عن غيره في الخطابات الأخرى وتكون بذلك أقوى تأثيراً في النفوس، وأكثر إقناعاً في العقول.

— إن الحجاج مظهر حضاري مطلوب ولو مع المكابرين لأن طبيعته تنافي التسلط والإكراه والإلزام وتمنح الفرصة للعقول واعتماد الحجج الموصلة للاقتناع.

— إن التسليح بالحجاج من خلال إتقانه والإلمام بآلياته ضرورة حضارية لمجابهة أعداء الدين والمتربصين المغرضين لدحض شبهاتهم ومغالطاتهم ومحاربتهم نصرة للحق.

— إن التشكيل الخطابي في محاجة أهل الكتاب ظهر في أشكال حجاجية اصطبغت بالحوار والتفاعل الخطابي لأنه المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج.

— إن هذا التنوع في التشكيل الخطابي هو ما أكسبه قوة حجاجية عالية، تظهر في نسق التعامل مع المخاطبين تعييناً لأشخاصهم وتصنيفاً لفئاتهم (أهل الكتاب، بنو إسرائيل، اليهود، النصارى) هذا ما أرسى حركية في الخطاب، وكساه نجاعة حجاجية أدت إلى استمالة المتلقي ودفعه للاقتناع عن طريق التأثير أولاً ثم الإقناع ثانياً.

— تنوعت أشكال الحجاج بتنوع طبيعة المخاطبين وتصوراتهم، ويقابله النسق الخطابي المعتمد سواء باستعمال استدلالات **خطابية** أو **قياسية**. وجاءت هذه الأشكال كآلاتي:

✓ **بدءاً بـ "الحوار"** الذي يعتمد على الدعوة والبلاغ ومبناه **الصدق**، وفيه تركيز على الجانب الأخلاقي في عرض الدين الجديد، لتثبيت هذا المعتقد.

✓ **ثم "المناظرة"** تركز على الاستدلال الحجاجي وتقوم على الاعتراض من طرف أهل الكتاب على هذا الدين الجديد بحثاً عن حقيقته ومقارنته بدينهم، وتقوم على الإبلاغ. ومبناها **القصد**.

✓ **فـ "المجادلة"** التي تقوم على التحاجج، وتتسم بالتعارض ووجود الخصومة بحثاً عن الغلبة وإبطال كل دعوى من المتناظرين، استعمل فيها أهل الكتاب الحجاج بالمغالطة والحجاج بالتجهيل.

✓ **انتهاءً بـ "المباهلة"** كآخر خيار في الحوار بعد انسداد طرقه بسبب تعنت ومراء أهل الكتاب ومكابرتهم وهذا بعد وضوح الحجة وإقامة الدليل.

— إن هذا التدرج في المحاجة يركز على آليات أسلوبية داعمة لحجج توجيهها وتقوية وإقناعاً أهمها:

✓ **المساءلة:** هي آلية تقوم على فعالية الاستفهامات والأسئلة، وتقود إلى التأثير والإقناع، وقد تجلت في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وقومه في شأن البقرة، وفعاليتها ظهرت في مواقفهم بدءاً من شعورهم بالسخرية من أمرهم بذبح البقرة، إلى الخوض في مواصفاتها، إلى التصديق بالأمر، والاقتناع به، وصولاً للامتثال والاستجابة (الفعل).

- ✓ القصة: هي من أهم الآليات الحجاجية في إثبات وتدعيم الدعوى ويظهر بعدها الحجاجي باعتبارها واقعة خارجية تصديقية لأنها تقص أحداث تاريخية مقررة في كتب أهل الكتاب مثل قصة بلعام بن بعوراء.
- ✓ التكرار: بتنوعاته اللفظية والمعنوية (الحرف، الكلمة، الجملة، القصة) وله أغراض حجاجية كثيرة منها التوكيد، التقرير، التذكير، الإلحاح، وهذا من شأنه أن يحدث استمالة وتعديلا في مواقف المتخاطبين.
- ✓ المثل: وتكمن قيمته الحجاجية في علاقته الاستدلالية المتعلقة بالتمثيل والربط بين واقعيتين الحقيقية والخطابية .
- ✓ النداء: وهو آلية داعمة ومهيئة لطرح الحجج، وتعتبر كمقدمة عاطفية للدخول في علاقة حجاجية مع المخاطب، (يا أهل الكتاب، يا بني إسرائيل،...).
- وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن ينفعنا بما علمنا ويوفقنا لما هو خير وصواب، وأن يكون موضوع بحثنا طريقا ومفتاحا نلج به أبوابا أخرى في آفاق المعرفة وعالم البحث حتى نكون من طالبي العلم من المهد إلى اللحد.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود.

الكتب:

- 1 — ابن الأثير أبي الفتح ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، 1995،
- 2 — ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد زاوي ومحمود أحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1997.
- 3 — أحمد عبد الرحمان، في رحاب السيرة العطرة، افتراءات المضلين في ضوء الحق المبين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2010.
- 4 — أحمد علي عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004.
- 5 — أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، د ط، 1979.
- 6 — أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية)، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2016
- 7 — الأمدي أبو الحسن سيد الدين بن محمد بن علي، الإحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، (د ط)، (د ت)، ج 1
- 8 — إميل بديع يعقوب، موسوعة أمثال العرب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995، ج1
- 9 — موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2006، ج9.
- 10 — باسم خيرى خضير، إستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (مقاربة تداولية)، العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء، العراق، ط1، 2017.
- 11 — أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، الإغراب في جدل الإغراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971.
- 12 — بشير خليف، بحثاً عن ثقافة الحوار مع الذات ومع الآخر، دار الهدى، الجزائر (د، ط)، 2018.
- 13 — أبوبكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

- 14 — اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، دار البيضاء، ط2006، 1.
- 15 — بهاء الدين محمد يزيد: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.
- 16 — بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط2، 2006.
- 17 — التهانوي محمد بن علي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996، ج1.
- 18 — جابر عبد العزيز، حقوق الإنسان دراسة مقارنة بين العهود والمواثيق، دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية، ط1، 2008.
- 19 — الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968.
- 20 — الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث.
- 21 — جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ج1.
- 22 — جميل حمداوي، المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق، (د ن)، ط1، 2016.
- 23 — من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط ، 2014.
- 24 — جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د ط)، 1982.
- 25 — جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، د ط، 2000.
- 26 — جين إتشسن، اللسانيات مقدمة إلى المقدمات، ترجمة: عبد الكريم محمد جبل المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016.
- 27 — أبو حامد محمد الغزالي، إلهام العوام عن علم الكلام، تحقيق: هيئة التأليف في وقف إسماعيل آغا، مكتبة السراج، تركيا، ط1، 2017.

- 28 — حبيب فياض، مقاربات في فهم الدين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2008.
- 29 — ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام تحقيق أحمد محمد شاكر، منشورات دار الأفاق، الكويت، (د ط)، (د ت).
- 30 — التقريب لحد المنطق والدخول إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، تحقيق: احمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، (د ت).
- 31 — الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الفكر، 1979، ج2
- 32 — حسن بدوح، المحاوره (مقاربة تداولية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
- 33 — حسن حنفي، من النقل إلى العقل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2013، ج1
- 34 — حمدي منصور جودي، الحاج في كتيبة ودمنة لابن مقفع، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن ط1، 2018
- 35 — حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ والتداولية وتداولية الخطاب، الأمل، تيزي وزو، ط2، 2012.
- 36 — حمو النقاري، معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2016.
- 37 — التحاج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006.
- 38 — أبو حيان الأندلسي، بحر المحيط، تحقيق، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420 هـ، ج1.
- 39 — الخازن علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- 40 — الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2000، ج13.

قائمة المصادر والمراجع

- 41 — الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار الشامية، دمشق، ط1، 1412هـ.
- 42 — رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 1984.
- 43 — زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، ط 3، 1404هـ.
- 44 — الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة بيروت، ط1، 1957، ج2.
- 45 — زكريا بشير إمام: أساليب الحجاج في القرآن الكريم، نماذج من الحجج الاستنباطية، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، الخرطوم، السودان (د ط)، 1995.
- 46 — الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي بيروت، ط3 1407هـ.
- 47 — سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن ط 2، 2011.
- 48 — السجل ماسي أبو محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980،
- 49 — سعد بن ناصر الشثري، أدب الحوار، كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 2006،
- 50 — سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) المركز الثقافي العربي بيروت ط3، 1997.
- 51 — سليمان بن عمر العجيلي المعروف بالجمال: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د ط)، (د ت)، ج1
- 52 — سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2013.
- 53 — سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004

- 54 — في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (د ط)، (د ت) ج 4.
- 55 — شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية من أرسطو الى اليوم.
- 56 — صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للنشر والتوزيع سوريا، ط1، 2008.
- 57 — صاحب محي الدين يوسف بن عبد الرحمن الجوزي، الإيضاح لقوانين الاصطلاح في الجدل والمناظرة، تحقيق: محمود محمد السيد الدغيم، مكتبة المدبولي، القاهرة، ط1، 1995.
- 58 — صالح بن عبد الله ابن حميد وآخرون، نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط4، (د ت).
- 59 — صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، علم المعرفة، الكويت (د ط)، 1992.
- 60 — طارق مالكي: الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في اللسانيات، كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2019.
- 61 — الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ج6.
- 62 — طه عبد الرحمان، التواصل الحجاج، سلسلة المعارف الجديدة، الرباط، 1994.
- 63 — اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- 64 — في أصول الحوار والتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط2، 2000.
- 65 — عارف هنديجاني فرد: حوار الأديان في القرآن الكريم، إشكالات الحوار وآفاق التواصل، جمعية القرآن الكريم بيروت، ط1، 2014.
- 66 — عبد الجليل مرتاض، الروافد اللسانية لتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، (د ط)، 2016.
- 67 — عبد الحميد محمد بن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

- 68 — عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، (د ط)، 2012.
- 69 — عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها في هيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، بيروت، ط1، 1996.
- 70 — أمثال القرآن الكريم وصور من أدبها لرفيع، دار القلم، بيروت، ط2، 1992.
- 71 — عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق المغرب، ط2، 2012.
- 72 — عبد القاهر، بن عبد الرحمن الجرجاني دلالات الإعجاز تحقيق: عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2001.
- 73 — عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطاب الجديدة لبرلمان وتيتيكاه ضمن كتاب أهم.
- 74 — عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.
- 75 — عبيد القاسم ابن سلام ابن عبد الله الهروي، الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1980.
- 76 — عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2009.
- 77 — الغالي بنهشوم، أساليب الحجاج في الخطاب — دراسة تطبيقية —، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2020.
- 78 — ابن فارس أبو الحبيب أحمد بن زكريا مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، 2002، ج5.
- 79 — فالح الربيعي، القصص القرآني رؤية فنية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2002.
- 80 — فخر الدين الرازي نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوغلي دار صادر بيروت، ط1، 2004.

- 81 — فيليب بروطون وجيل جوتيه، تاريخ لنظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي، الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة المملكة العربية السعودية، ط1، 2011.
- 82 — ابن قتيبة، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
- 83 — القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية (د ط) 2003، ج16،
- 84 — ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تخريج: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان وأبو عمر أحمد عبد الله احمد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.
- 85 — بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1 1425هـ، ج4.
- 86 — زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1994 ج3.
- 87 — مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن الحسن بن القائد، مؤسسة ابن عبد العزيز الراجحي الخيرية، ط1، 1423هـ.
- 88 — ابن كثير عماد الدين أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999، ج1،
- 89 — الكرمانى محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (د ط)، (د ت).
- 90 — كريستيان بلانتان، الحجاج، ترجمة: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس 2010.
- 91 — الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ط)، (د ت).

قائمة المصادر والمراجع

- 92 — الماوردي أبو الحسين علي بن محمد، أدب الدين والدنيا، تحقيق: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج، بيروت، ط1، 2013.
- 93 — مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2015.
- 94 — مجاهد الحجاج مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، تحقيق محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الاسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1989.
- 95 — مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د ط) 1982، ج1
- 96 — محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016.
- 97 — محمد إبراهيم خاطر، الحوار فريضة شرعية وضرورة بشرية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2012.
- 98 — محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ج8
- 99 — محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان ط1، 2000، ج2
- 100 — محمد العابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقد مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط5، 1994.
- 101 — محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012.
- 102 — محمد المفتي وآخرون: مدخل إلى علوم القرآن والسنة النبوية، دار أمواج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012.
- 103 — محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بالمرتضي الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية ج2
- 105 — محمد بن ناصر الشهري، سلطان اللغة، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 2012.

قائمة المصادر والمراجع

- 106 — محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- 107 — محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت).
- 108 — مدخل إلى القرآن الكريم، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006.
- 109 — محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر، بيروت ط1.
- 110 — محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر ط 3، ج1.
- 111 — محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوندان، القاهرة، ط2، 2007.
- 112 — محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت) ج2.
- 113 — محمد فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن، دار عالم القرآن، حلب، سوريا، ط1، 2005.
- 114 — مصطفى عادل، المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخبرنا اليومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2007.
- 115 — ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1955، ج2.
- 116 — الماوردي أدب الدين والدنيا تحقيق: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج، بيروت، ط1، 2013.
- 117 — ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي: انوار التنزيل وأسرار التأويل تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 118 — ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.

قائمة المصادر والمراجع

- 119 — نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- 120 — أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- 121 — هناء حاسة، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين دراسة وصفية لنماذج خطابة، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2016.
- 122 — الواحدي، أسباب النزول، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط2، 1995.
- 123 — أبو وليد الباجي، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001.
- 124 — يوسف القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة حياة المسلمين وسط المجتمعات الأخرى، دار الشروق القاهرة، ط1، 2001.
- المذكرات:**

- 1 — موهوب احمد، استراتيجيات الخطاب لأهل الكتاب في القرآن الكريم، أطروحة الدكتوراه، إشراف: صالح بن حديث، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2017.
- 2 — عمر بلخير، الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية، رسالة ماجستير، إشراف خولة طالب الإبراهيمي، جامعة الجزائر، 1997.
- 3 — كريم بن يحيى ناعوس، تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في السياسات نص إشراف: محمد ملياني، جامعة وهران، 2012/2013.
- المجلات والدوريات:**

- 1 — جميل حمداوي حجاج الخطاب أو الخطاب الحجاجي، صحيفة المتقف العدد 4955، الاثنين 2020/03/30
- 2 — حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر، العدد 1 المجلد 30 سبتمبر 2001.

قائمة المصادر والمراجع

3 — صابر مشيل، القصة القرآنية مفهوماً وأسلوباً، المجلة الجامعة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، صبراتة، ليبيا، عدد 11، 2009.

4 — لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد (71)، جزء 3، (د ت).

5 — محمد العمري المغالطة في فضاء الاحتمال، سياقات اللغة والدراسات البيئية، ع5، أبريل 2017.

6 — محمد الولي: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، عدد 2، المجلد 40، ديسمبر 2011.

7 — نعمة دهش فرحان الطائي، نظرية المسألة والبلاغة لميشال مايير، مقارنة في الأصول والأسس والتمثيلات، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، نيسان، 2019.

8 — هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي، بين نظرية البيان ونظرية البرهان، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، مارس 2006.

9 — نعمان عبد الحميد بوقرة، أضواء على تحليل الخطاب في الفكر اللساني الحديث مجلة العلوم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العدد 29، صيف 2017.

الروابط الرقمية:

1 — حسن مصطفىوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج 2 <http://www.masaha.org>

2 — عبد الرحيم بن صمايل السلمي، الحوار بين الأديان (حقيقته و أنواعه)

www.pdf.factory.com

3 — عدنان الرفاعي، الحكمة المطلقة، مركز الفكر للدراسات الإسلامية، www.thekr.net

4 — معتز حسن محمد أبو قاسم، مدخل على المنطق الطبيعي الحجاجي، الحجاج ضرورة

إنسانية، <https://dergipark.org.tr>

فَهْ رَسْ

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
توشيح	
شكر و عرفان	
إهداء	
مقدمة	أ ... ث
الفصل الأول: التشكيل الخطابي وأشكاله الحجاجية في خطابات أهل الكتاب	
أولاً: الخطاب مفاهيم وتشكيل	
1 – تعريف الخطاب .	08
2 – دلالة الخطاب في القرآن الكريم .	11
3 – قواعد وقوانين الخطاب.	12
4 – أنواع الخطاب.	16
5 – العلاقة بين الخطاب والحجاج.	17
ثانياً الأشكال الحجاجية في خطابات أهل الكتاب	
تمهيد	21
1 – حجاجية الحوار	22

33	2 - حجاجية المناظرة
37	3 - حجاجية المجادلة
43	4 - حجاجية المباهلة
الفصل الثاني: التشكيل الحجاجي وآلياته في خطابات أهل الكتاب	
أولاً: الحجاج مفاهيم وتشكيل	
48	1 - تعريف الحجاج
53	2 - دلالة الحجاج في القرآن الكريم
55	3 - أصناف الحجاج
56	4 - أنواع الحجاج
62	5 - تقنيات الحجاج .
ثانياً: الآليات الأسلوبية في التشكيل الحجاجي في خطابات أهل الكتاب	
70	1 - آلية التكرار
76	2 - آلية القصة
78	3 - آلية المثل والتمثيل
84	4 - آلية السؤال
90	5 - آلية النداء
93	6 - تحليل نماذج للتشكيل الحجاجي

100	خاتمة
105	المصادر والمراجع